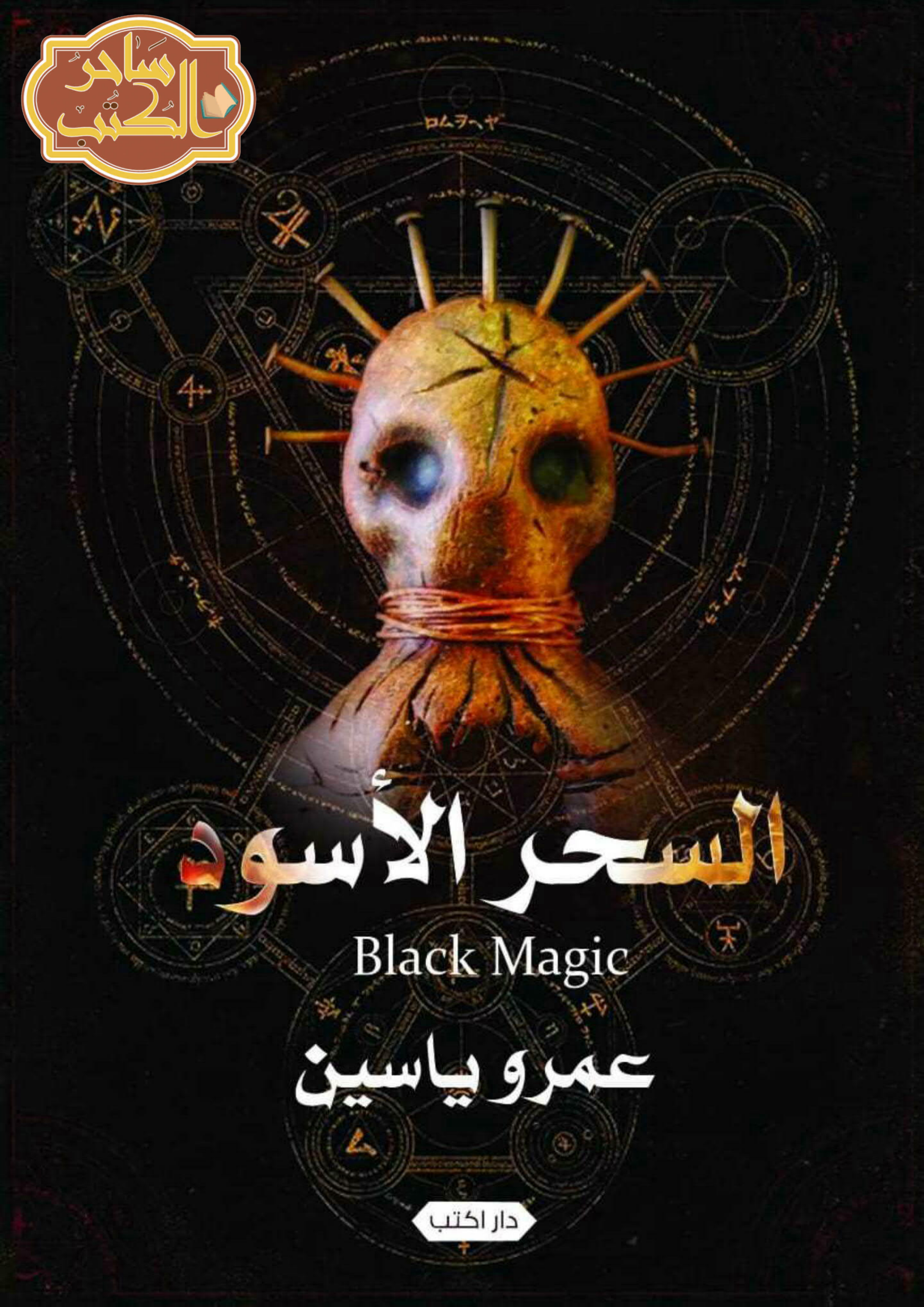

ساحر الكتب
السحر الأسود
Black Magic
عمرو ياسين
دار اكتب



السحر الأسود



السحر الأسود

الشامانية -- القبالاه

عمرو يس

الطبعة الأولى، القاهرة 2019 م

غلاف: مروة فتحي

تدقيق لغوي: خالد رجب عواد

رقم الإيداع: 26150 /2018

I.S.B.N: 978-977-488-615-7



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان: 12 ش عبد الهادي الطحان، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة، مصر

هاتف: 01111947957

بريد إلكتروني: daroktob1@yahoo.com



السحر الأسود

الشامانية - القبالاه

عمرو يس

دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى أغلى أربعة نساء في حياتى

أمي "رحمها الله "سومة"، وأمي التي علمتني أصول البحث العلمي " د هدى درويش "وزوجتي "زينب "وأختيَّ؛ "أميرة ونورا"

وإلى أغلى ثلاثة رجال في حياتي

أبي "محمد عبد الواحد" أخي "هاني" ولدي "يس"

وأسأل الله لهم الرباعي الجميل

الصحة - العافية - السلامة - راحة البال



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد (صلى الله عليه وسلم).

وبعد:

فإن الإنسان منذ بدايته ولديه شعور بقوة خفية عُليا، يلمس أثرها في الوجود ومعالمها في الكون الذي يعيش فيه، ينفعل معها ويعزو كل ما في الكون إليها، ومن هنا كانت نشأة الدين والتدين، التي تثبت حتمًا أن قلب الإنسان وروحه، وكيانه نزعة روحية، ومطلب يفوق حاجاته الجسمانية.

لذا خضع الإنسان قديمًا لمشاعره وإحساساته التي تولدت فيه من اتصاله بظواهر العالم الخارجي، فقدس بعض مظاهر الطبيعة، وقدس كثيرًا من الحيوانات، وصار السحر معروفًا ومشهورًا في القبائل البدائية في معتقداتها، وتقاليدها، حتى أصبح أمر الفصل بين



السحر والدين في حياة الإنسان البدائي محل نزاع عند كثير من العلماء.

نشأ عند الإنسان القديم كثير من العقائد؛ لأنه يرى أن كل مظهر من مظاهر الطبيعة فيه قوة روحية، فعبد الإنسان كل شيء وقعت عليه عيناه وشغل فكره، حتى عبد أرواح الأسلاف وقدسها، وفي كثير من البلدان كان يحضر الأرواح ليسألها عن الخير والشر لخبرتها في ذلك.

فانتشرت العرافة، وصار هناك اعتقاد بأن العرافين لديهم اتصال بأرواح عليا تطلعهم على الخفايا والأسرار، وفي بعض الأماكن كانت العرافة مظهر ديني يتمثل في أحلام ورؤى.

ومن أجل استرضاء الأرواح كانوا يقدمون لها الذبائح والقرابين.

ثم تطور الأمر بظهور فكرة النزاع بين الخير والشر، والتي تحولت إلى معتقد ديني في الفلسفات القديمة،



له طقوس وشعائر، تساعد في نصرة الخير على الشر، حتى صار هناك آلهة للخير تمثلت في أزوريس في العقائد المصرية القديمة، وأهورمزدا في العقائد الفارسية، وكريشنا في العقائد الهندية، وآلهة أخرى للشر تمثلت في ست، وأهريمان...

ولكثرة الآلهة على مسرح الحياة ظهرت آلهة معنوية كالصحة والشباب في العقائد اليونانية.

ولشدة الصراع بين الخير والشر أصبح الإنسان جزءًا من هذا الصراع، ولأجل التحرر من الشر والفوز بالخلاص اتخذت بعض العقائد الوضعية طقوس مختلفة، منها تأملي في الكون، وحسابات النجوم والكواكب، ومنها تقشفي وصل أحيانًا إلى تعذيب الجسد وحرمانه من الملذات الحسية المباحة، ومنها ما عمل على الارتقاء الروحي، والصفاء الوجداني بالعمل على الارتقاء الأخلاقي.

ومن المؤسف أن هذه الثقافات والعقائد بقي شيءٌ من أثرها إلى الآن، ولا سبيل إلى مواجهتها إلا بالتمسك



بالعقيدة الصحيحة والسير على المنهج القويم.

فهيا بنا عزيزي القارئ في رحلة إلى العصور الغابرة لنتعرف على معتقداتها السحرية، وكيف كانت العرافة فيهم، وكيف كان السحر أحد الأساليب الصهيونية في جذب العقول والسيطرة عليها.

المفاهيم الأساسية

الدين

الاعتقاد

الحلول

وحدة الوجود

السحر

أولًا- مفهوم الدين

الدين في اللغة: له معانٍ كثيرة، توهم الناظر إليها لأول مرة أنها متناقضة، وليس الأمر كذلك، بل عند التحقيق تجدها في غاية الانسجام فيما بينها. فقد وردت الكلمة بمعنى الملك وهو الخدمة، وبمعنى الذل أي: القهر والسلطان، أو التذلل والخضوع، وبمعنى الطاعة والاستسلام، والاعتقاد والتعبد، والمحاسبة والجزاء، والحكم والقضاء، والقهر والتدبير، والحساب والمكافأة،



وكذا اسم لكل ما نعتقده، أو لكل ما يُتعبد الله -عز وجل- به إلى آخر هذه الكلمات التي وردت في معاجم اللغة.

والواقع أننا إذا نظرنا في اشتقاق هذه الكلمة، ووجوه تصريفها نرى من وراء هذا الاختلاف الظاهر تقاربًا شديدًا، بل صلة تامة في جوهر المعنى؛ إذ نجد أن هذه المعاني الكثيرة تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معانٍ تكاد تكون متلازمة، وبيانه:

إن كلمة الدين تؤخذ تارة من فعل متعدٍّ بنفسه دانه يدينه، فتكون بمعنى ملكه وحكمه وساسه، ودبره وقهره وحاسبه، وقضى في شأنه، وجزاه وكافأه، فيدور معنى الدين هنا على معنى الملك والتصرف، والذي منه الآية الكريمة {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} (الفاتحة: 4).

وكذا اسم الله تعالى الدَّيَّان أي: الحكم والقاضي، ومنه الحديث: ((الكيس من دان نفسه)) أي: حكمها وضبطها، وتارة تكون من فعل متعدٍّ باللام دان له،



فتكون بمعنى أطاعه، وخضع له؛ فالدين هنا هو الخضوع والطاعة، وكذا العبادة والورع، وكلمة الدين لله يصح أن يُفهم منها كلا المعنيين الحكم لله أو الخضوع لله، وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول، ومطاوع له، دانه فدان له، أي: قهره على الطاعة فخضع وأطاع.

وتارة تأتي من فعل متعدٍّ للباء دان به، فيكون معناه: أنه اتخذه دينًا ومذهبًا أي: اعتقده أو اعتاده، أو تخلق به، فالدين على هذا المعنى هو المذهب والطريقة التي يسير عليها المرء نظريًّا أو عمليًّا، فالمذهب العملي لكل امرئ هو عادته وسيرته، كما يقال: هذا ديني، وديدني، والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه، ومن ذلك قولهم دينت الرجل أي: وكلته إلى دينه، ولم أعترض عليه فيما يراه سائغًا في اعتقاده.

ولا يخفى أن هذا الاستعمال الثالث تابع أيضًا للاستعمالين قبله؛ لأن العادة أو العقيدة التي يُدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها، ويلتزم اتباعها، وجملة القول في هذه المعاني اللغوية



أن كلمة الدين عند العرب تُشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر، ويخضع له، فإذا وُصف بها الطرف الأول كانت خضوعًا وانقيادًا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرًا وسلطانًا، وحكمًا وإلزامًا، وإذا نظرنا بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين؛ كانت هي الدستور المنظم، والحكم الذي يرسم تلك العلاقة، أو المظهر المعبر عنها، فالكلمة تدور على معنى لزوم الانقياد، فالأول: ملزم بالانقياد، والثاني: ملتزم بالانقياد، والثالث: المبدأ الذي يلتزم بالانقياد له.(1)

***

الدين اصطلاحًا:

يعرف المسلمون الدين بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل، ولخصه بعضهم بقوله: "الدين وضع إلهي يشير إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"، وهذا التعريف لا شك أنه ينطبق على الدين الحق، ولا يمكن تعديه إلى جنس الدين،



وقد عُلم أن منه حسب الواقع والاستقراء الحق والباطل، وما انتشر من باطله أكثر بكثير مما عليه أهل الحق منهم قال تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (الكافرون: 6)، كما قال تعالى: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} (الأنعام: 116)، وكذا {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} (يوسف: 106)، وكذلك {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} (يوسف: 103) إلى آخر الآيات التي في هذا المعنى.

أما الغربيون فلهم في تعريف الدين تعبيرات شتَّى نذكر نماذج منها:

يقول سيسرون: "الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله"، ويقول كانت: "الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية"، ويقول شليلماخر: "قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة"، ويقول الأب شاتل: "الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق، وواجبات الإنسان نحو الله، ونحو الجماعة، ونحو نفسه"، ويقول روبرت



سبنسر: "هو الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية، هذا العنصر الرئيسي في الدين"، يقول تايلور: "الدين هو الإيمان بكائنات روحية"، يقول ماكسملر: "الدين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه، فهو التطلع إلى اللانهائي، وهو حب الله"، ويقول إميل برنوف: "الدين هو العبادة، والعبادة هي عمل مزدوج، فهي عمل عقلي به يعترف الإنسان بقوة سامية، وعمل قلبي، أو انعطاف محبة، يتوجه به إلى رحمة تلك القوة"

ويقول ريفيل: "الدين هو توجيه الإنسان سلوكه وفقًا لشعوره بصلة بين روحه، وروح خفية، يعترف لها بالسلطان عليه، وعلى سائر العالم، ويطيب له أن يشعر باتصاله بها".

ويقول جويوه: "الديانة هي تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الإنسانية، والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى، يركزها الإنسان البدائي في الكون"، ويقول ميشيل مايير: "الدين هو جملة العقائد والوصايا التي يجب أن توجهنا في سلوكنا مع الله



ومع الناس، وفي حق أنفسنا"، ويقول سلفان بريسيه: "الدين هو الجانب المثالي في الحياة الإنسانية" ويقول سلمون ريناك: "الدين هو مجموعة التورعات التي تقف حاجزًا أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا"، ويقول إميل دور كايم: "الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة أي: المعزولة المحرمة، اعتقادات أعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة".

وبعدُ هذا العرض لتعريف الدين عند العلماء الغربيين يتبين أنهم ما أرادوا حقيقة الدين، ولكن فكرة الدين أو الاعتقاد بإطلاق، أو فكرة الخضوع والاتباع من حيث هي بغضِّ النظر عن مصدرها ومنهجها، ومدى صحتها، ومما لا شك فيه أن كثيرًا من الديانات الخرافية التي هي وليدة الخيالات والأوهام كانت تنطبق عليها هذه التعاريف، ولا تخرج عن مقتضاها.

فكل ديانة تقوم على عبادة التماثيل، أو عبادة الحيوان، أو النبات، أو الكواكب، أو الجن، أو الملائكة، أو الأنبياء إلى آخره، فإنها تكون دينًا بمعناه اللغوي،

وإن لم يمت إلى الدين الحق بصلة، ولمَ لا والقرآن قد سماها كذلك حيث يقول: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (آل عمران: 85)، ويقول: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (الكافرون: 6).

والشيء الذي لا شك فيه أن هذه التعريفات عند الغربيين متباينة، كما أنها ليست جامعة مانعة، ذلك أن منهم من جعل الدين فكرة فلسفية في أرقى صورها؛ مخالفًا بذلك بقية صوره التي عرفها عوام المتدينين، كما أنها لا تنطبق على عقيدة المشبهين ولا المجسمين، كما لم تخلُ من طرفي النقيض ما بين مضيق وموسع، ومن نظر إلى الروحانية فقط دون المادية، ومن عكس لنا القضية، ومن ذهب إلى النظرية الاعتقادية وقد أغفل الواقع، ومن عاش في الواقع وتمرغ في أوحاله دون أن يرتقي إلى النظرية أو المثالية في شيء، كما أنه لا يجوز لبعض هذه التعريفات أن تحذف مبدأ الألوهية من تعريف الدين.



ذلك، لأن قضية الألوهية هي قوام حقيقة الدين، ولا يكون الإنسان متدينًا إلا مع شعوره بالحاجة والتبعية المطلقة لقوة قاهرة أيًا كانت، وأيًا كان لون الخضوع لها، فهذا يسمى دينًا بغض النظر عن حقيقته وبطلانه، ولذلك كان يجب على من يتعرض لتعريف الدين أن ينظر إلى العناصر الرئيسة في العقيدة الدينية، والتي ملخصها في هذا التعريف الجامع لمعنى الدين بإطلاق.

الدين: هو الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية، لها إرادة واختيار، ولها تصرف وتدبير للشئون التي تعني الإنسان؛ اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد.

وبعبارة موجزة: هو الإيمان بالذات الإلهية، جديرة بالطاعة والعبادة، فهذا الدين من حيث هو حالة نفسية بمعنى التدين، أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجة فنقول: هو جملة النواميس النظرية التي تُحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها(2)



والأديان إما سماوية أتى بها الأنبياء والرسل من عند الله -عز وجل- أو وضعية وضعها البشر من عند أنفسهم، لا عن طريق الوحي، ورغم أنّ رِسالَات الله توالت على البشرية تترى، منذ أول إنسان خلق على وجه الأرض، وهو آدم -عليه السلام- إلا أنّ البشرية أبت إلا أن تُكَذّب الرُّسل، وتعرض عن آيات الله ودينه، ولما حاد الإنسان عن الطريق السوي، واتبع شيطانه وهواه، واتخذ لنفسه آلهة متعددة؛ فمنهم من عبد الحجر، ومنهم من عبد البقر، ومنهم من عبد النجوم والشمس والقمر، ومنهم من عبد البشر... إلى آخره.

فانتشرت الأديان الوضعية المختلفة على وجه الأرض؛ فكانت ديانة قدماء المصريين، وكانت ديانات الهند، وديانة الفرس، وغيرها من الديانات الوضعية.

والفَرقُ بين الدين الوضعي، والدين السماوي: أنّ الدين الوضعي هو الذي يكون من وضع البشر أنفسهم، وهو عبارة عن مجموعة من المبادئ والقوانين العامة، وضعها بعض الناس المستنيرين لأممهم؛ ليسيروا عليها، ويعملوا بما فيها، والتي لم يستندوا في وضعها



إلى وحي سماوي، ولا إلى الأخذ عن رسول مرسل، وإنما هي جملة من التعاليم والقواعد العامة، التي اصطلحوا عليها، وساروا على منوالها، وخضعوا فيها لمعبود معين، أو معبودات متعددة، والأمثلة على الدين الوضعي كثيرة منها:

الديانة البرهمية في الهند، والديانة البوذية فيها أيضًا، وفي شرق آسيا، ومنها ديانة قدماء المصريين، والديانة الفارسية القديمة وغيرها.

أما الدين السماوي؛ فهو تعاليم إلهية من وحي اللّٰه تعالى، وإرشادات سماوية من لدن العليم الخبير بنفوس العباد وطبائعهم، وما يحتاجون إليه في إصلاح حالهم في المعاش والمعاد، والدنيا والآخرة؛ إنه مجموعة التعاليم والأوامر والنواهي، التي يجيء بها رسول من البشر أوحى اللّٰه تعالى بها إليه، وفي مقدمتها:

الإيمانُ بخالق واحد موجه لهذا الكون، لا شريك له في ملكه، يجب صرف العبادة كلها إليه والخضوع له،



والتذلل لهذا الإله الخالق الرازق، ووجوب إفراده وحده بالعبادة، والإيمان باليوم الآخر، والحساب والجزاء، وبالثواب في الجنة والنعيم المقيم، أو النار والعذاب الأليم، وذلك مثل الديانة اليهودية في أصلها، كما جاء بها موسى عليه السلام، والديانة المسيحية، والدين الإسلامي الذي جاء به النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- رحمة للعالمين، وكان هذا الدين خاتمًا لجميع الرسالات السماوية؛ فلا وحي بعد نبوة محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- ولا دين بعد الإسلام.

والسؤال الآن: ما الفرق بين الدين الوضعي والدين السماوي؟:

لعله بات واضحًا الفرق بين الدين السماوي، والدين الوضعي، ونستطيع أن نجمل القول بأنّ الدين السماوي ما توافرت له دلائل صحة سنده، وسلامه متنه، بينما الدين الوضعي هو الذي لم تتوفر له دلالة صحة السند، كما لم تتوفر له دلائل سلامة المتن.



ويوجز الدكتور (عوض الله حجازي) الفروق بين الدين السماوي والوضعي قائلًا: إن الدين السماوي دين قائم على وحي الله تعالى إلى البشر، بواسطة رسول يختاره الله منهم.

أما الدين الوضعي؛ فهو جملة من التعاليم، وضعها البَشرُ أنفسهم، واتفقوا عليها، واصطلحوا على التمسك بها، والعمل بما فيها، إنها تعاليم ناشئة عن تفكير الإنسان نفسه.

والدين السماوي يدعو دائمًا وباستمرار إلى وحدانية الله تعالى، واختصاص هذا الواحد بالعبادة؛ فلا يخضعُ المَرءُ إلا لله، ولا يستعين إلا به، ولا يذبح إلا باسمه جل شأنه.

أما الدين الوضعي؛ فإنّه قد يُقَدّس الأحجار والأصنام، ويجيز تعدد الآلهة فيجعلها كثيرة ومتغايرة، بل قد تكون متنافرة ومتخالفة، مثل: إله الخير وإله والشر، أو إله الحرب وإله السلم... إلى آخره.



والدين السماوي ينزه الإله المعبود عن مشابهته لخلقه، فالله -عز وجل- لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (الإخلاص: 1 - 4).

أما الدين الوضعي: فإنه يجيز أن يكو الإله بشرًا مثلهم، أو حيوانًا، أو حجرًا يعبدونه ويخضعون له، ويقدمون له القرابين والهدايا؛ فقد عبد بعض الناس الشمس، وعبدوا العجل، واتخذوا فرعون الذي قال لهم: "أنا ربكم الأعلى" إلهًا وعبدوا الأصنام والأوثان، ولا يزال الناس حتى أواخر هذا القرن العشرين عصر العلم والحضارة والمدنية، يُقَدّسون بعض الأشخاص، ويتقربون إليهم، ويعبدون البقر والغنم، كما هو حاصل الآن في الهند وغيرها.

مع أنّ هذه الآلهة كلها، التي عبدها ويعبدها البشر من دون الله لا تستطيع أن تخلق شيئًا، ولا أن توجد أضعف المخلوقات، بل إنها لا تملك لنفسها نفعًا أو ضرًّا، قال تعالى في سورة الحج: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ



فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: 73، 74).

هذا؛ والدين السماوي بالنسبة لمسائل العقيدة غيرُ قابل للنسخ والتبديل أو التغيير؛ فعقيدة الرُّسل جميعهم واحدة، فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته، والرسل وعصمتهم واليوم الآخر، وما يكون فيه من ثواب أو عقاب، إنّ الخالق عند جميع الرسل واحد، إنّ هذا الخالق تجب عبادته واختصاصه جل شأنه وحده بهذه العبادة، وأن هذا الإله يجب أن يثبت له صفات الكمال، وأن ينزه عن جميع صفات النقص، وأنه سيحاسب النّاس جميعًا على أعمالهم، ويُجازيهم عليها إن خيرًا فالجزاء خيرًا، وإن شرًّا فيكون الجزاء شرًّا، وكل هذا قدر مشترك بين جميع الرسالات السماوية.

أما الدين الوضعي؛ فالمعبود فيه قد يتغير من جيل إلى جيل، ومن قبيلة إلى أخرى، كذلك الدين الوضعي يُلازمه النقص وعدم الكمال؛ ذلك أنه من وضع



الإنسان، والإنسان لا يمكنه أن يُحيط بجميع حاجات البشر ومتطلباتهم المتجددة دائمًا.

أما الدين السماوي فهو كامل أنه تامًا شامل؛ لأنه من وضع خالق السماوات والأرض، عَلّام الغُيوب الذي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة، والذي يحيط بكل شيء علمًا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدارس للأديان الوضعية مثل: أديان البرهمية، والبوذية، والجينية مثلًا أو الديانة الفارسية القديمة، أو ديانة قدماء المصريين، مما اصطلح على تسميته دينًا وضعيًا يجدُ فيها ذكر لصفات الرب المتفرد بالكمال والجلال، أو ذكر اليوم الآخر والجزاء؛ مِمّا لا إمكانية للعقل معه من علم الغيب، ولا قدرة له عليه؛ فلا سبيل لإدراك شيء منه إلا بالسماع والنقل أو الوحي.

وهذا يعني: أنه دليل على بقاء آثار دين صحيح، وهو يتكامل مع قول الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل:



36)، وقوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} (فاطر: 24).

وعلى هذا نستطيع القول: بأن اجتهادات الناس التي وضعت لإصلاح حياة أمة بعينها، مِمّا اصطُلِحَ عليه فيما بعد دينًا وضعيًّا، إنّما هي نتاج عقل في موروث جمع بين حق آثار وبقايا دين صحيح وباطل، مما أسفر عنه تدخل العقول في النصوص والتحريف لهذا الدين باتباع الأهواء؛ فكان هذا المزيج وإن كان لاعتبار نسبته إلى إنسان معين؛ عرفناه بأنه دين وضعي.

وخلاصة القول: فإن العلماء اصطلحوا على تقسيم الأديان إلى:

سماوية: وهي ما نُسبت إلى الله وحيًا لرسله.

ووضعية: وهي ما نُسبت إلى الإنسان.

ولكن تبقى الدراسة رهينة تحقق دلائل الصحة للسند، والسلامة للمتن للحكم على المضمون والنص، كما أن الفروق بين السماوي والوضعي على هذا الاعتبار



يَحكُمها صفات تنسب إليه، فما لله ذاتي كامل أبدي أزلي، وما للإنسان مكتسب ناقص زائل حادث.

وصدق الله العظيم حيث قال:{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأنعام: 149)، وقال سبحانه: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} (الأنعام: 19). (3)

***

ثانيًا- مفهوم الاعتقاد:

العقيدة لغة: العهد المشدود، والعروة الوثقى، وذلك لاستقرارها في القلب، ورسوخها في الأعماق.

واصطلاحًا: هي ما يدين به الإنسان لربه، وجمعها عقائد.



والعقيدة الإسلامية هي مجموعة من الحقائق، الدينية العلمية، التي يجب على المسلم، أن يصدق بها قلبه وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقينًا عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب، فإن كان فيها ريب أو شك، كانت ظنًّا لا عقيدة، ودليل ذلك قوله تعالى: (﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الحجرات 15.(4)

والعقيدة: هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التي تساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال، هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس.

وباختصار: فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فسادًا كبيرًا في التصرفات، وانفراجًا هائلًا عن سَوِيِّ الصراط.



ولذا فقد عُني القرآن الكريم ببناء العقيدة، فلا تكاد تخلو أية سورة -مكية كانت أو مدنية- من شد الإنسان بكليته إلى ربه، وربط كل تصرف بهذه العقيدة التي تمثل القاعدة الأساسية لهذا الدين الذي لا يقوم بدونها، وبخاصة السور المكية التي أفردت لبناء هذه العقيدة، فلقد كانت العقيدة هي الموضوع الوحيد الذي عالجته السور المكية.(5)

ودعوى استغناء الإنسان عن العقيدة دعوة باطلة، يكذبها الواقع، ويبطلها تاريخ البشرية الطويل، إذ واقع البشرية شاهد على أن الإنسان حيثما كان، وفي أي ظرف وجد، وعلى اختلاف أحواله، لا يخلو أبدًا من عقيدة، سواء كانت صحيحة أم فاسدة.(6)

***

ثالثًا- الحلول:

مصدر يحل، وحلول الشيء في الشيء عبارة عن نزوله فيه (7).

والحلول هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، ومذهب الحلول: القول بأن اللّه حالٌّ في كل شيء (8).

والحلول إما أن يكون وضعيًّا، أو حيزيًّا، أو سريانيًّا، أو جواريًّا.

فالحلول الوضعي:

كحلول السواد في الجسم.

والحلول الحيزي:

كحلول الأجسام في الأحياز (9).

والحلول السرياني:

عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالًا، والمسرى فيه محلًّا.

والحلول الجواري:

عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفًا للآخر، كحلول الماء في الكوز (10).

والحلولية:

فرقة متصوفة تعتقد مذهب الحلول، وهو القول بأن الله حال وموجود في كل شيء (11) مع بقاء عنصر كل من الطرفين اللذين حال أحدهما في الآخر على حالته الأولى.

***

رابعًا- وحدة الوجود:

مذهب فلسفي لا ديني يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق (12).

ويقصد بوحدة الوجود أيضًا أن الله هو الحق وليس هناك إلا موجود واحد وهو الموجود المطلق وهو الله، فليس غيره في الكون وأما العالم فهو مظهر من



مظاهر الذات الإلهية، والعالم ليس له وجود في ذاته لأنه صادر عن الله بالتجلي.

والفرق بين الحلول ووحدة الوجود:

أن الحلول وجود ذاتين مختلفين حيث تحل الأولى في الثانية، أما وحدة الوجود فترى أن جميع الأشياء مع تعدد مظاهرها ذات ذاتية واحدة.

***

خامسًا- مفهوم السحر:

سِحْر [مفرد]: ج أسْحار (لغير المصدر) وسُحُور (لغير المصدر):

والمصدر سحَرَ، وهو كلّ أمر يخفي سببُه، ويُتخيّل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، وإخراج الباطل في صورة الحقّ، واستخدام القوى الخارقة بواسطة الأرواح، وفنّ وممارسات الساحر. (13)



والسحر اصطلاحًا: إتيان نفس شريرة أمرًا خارقًا - ضارًّا غير نافع - عند مزاولتها قولًا أو فعلًا محرّمًا في الشرع، أجرى الله سبحانه سُنّته - الكونية - عنده ابتلاءً.

والنفس الشريرة: دلت على أن من شرط إعمال السحر أن يقوم بمزاولته [نفس خبيثة، ينفصل عنها نَفَس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك، والحال أن تلك النّفْس قد تساعدت والروح الشيطانية على أذى المسحور.

قال تعالى:

(وَمِنْ شَرِّ النَفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (الفلق 4)

فإن النفاثات هنا: هن الأرواح والأنفس الخبيثة، لا النساء النفاثات وحسب، لأن تأثير السحر إنما هو من جهة تلك الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة. (14)

وقد عرفت الإنسانية فنون السحر منذ عهود قديمة، وظهر في ذلك مخطوطات ومنقوشات صخرية تدل



بمجموعها على مبلغ اهتمام الإنسان بأداة السحر باعتبارها معينًا له في حل المشكلات المتعلقة بعالم الغيب، لرفع الأستار عنه، والوقاية من أخطاره المحدقة.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد أول من مارس طقوس السحر وأعماله، إلا أن بعضًا منهم يرجح أن يكون زرادشت (زوروستر) في بلاد الفرس.

والواقع أنه منذ القرن الأول الميلادي إلى ما بعده استخدمت كلمة (مجوس) للإشارة إلى السحرة والراجمين بالغيب الوافدين أساسًا من بابل، واعتُبر المجوس البابليون غالبًا من السحرة. ثم لحق الفرس الكنعانيين حيث اعتقدوا اتصال الكلاب والقطط بالشياطين وتأثير أصواتها على الناس، أما الكلدانيون فقد اهتموا بدراسة الكواكب والنجوم، واعتقدوا جزمًا بتأثير حركتها على حياة البشر وهم ينسبون إليها أفعالًا كثيرة، ويعملون أعمالهم السحرية معتمدين على حركات الكواكب وأوقاتها ومواضعها، وعليه فإنهم أول من اعتمد النِّجامة كسبيل للسحر، أما المصريون



القدماء فقد اعتبروا السحر علمًا من علوم الكهنوت، وربطوا كثيرًا من الطقوس الدينية بالسحر وتعاليمه، وعليه فقد كان السحر لديهم دينًا تطبيقيًا اشتغل به كبار رجال الدين.

أما الهنود القدماء فقد احتل السحرة لديهم - وما زالوا - مكانة كبيرة، واختلطت الطقوس السحرية لديهم بكثير من عاداتهم، فكثرت عندهم التعاويذ والرقى، وكان منها ما يُستخدم للضر أو للنفع بحسب اعتقادهم؛ فقد تُمرض أو تشفي أو تضمن السعادة أو تجلب النحس، وتعدى أثر السحر لديهم إلى إخصاب الأرض وإجدابها، ولهم كتب في ذلك منها ما يسمى (سر الأسرار)، ويعتقد الهنود أن معبوداتهم في الثالوث الهندي، وهو يتألف من برهما وفشنو وسيفا، تخضع للسحرة وتأتمر بأوامرهم؛ لأنها لا تقوى على مقاومة تعاويذ ورقى السحرة الهنود!

كما قد ذاع صِيت السحر في أوروبا في عصورها المظلمة.



أما اليونان القدماء، فقد تعلموا السحر بالتنجيم، واعتقدوا بأن انتصار الإسكندر المقدوني على سائر الملوك كان بفعل معرفته بالأعمال السحرية، في حين أن الرومان عاش أباطرتهم الوثنيون في رعب من السحر، واتخذوا إجراءات تحميهم منه، وكان المتمرِّسون بالسحر في مجتمعهم يُعدون أشرارًا مشعوذين ويُحاكَمون تبعًا لذلك.

وفي روما كانت شهرة الكلدانيين من بابل ذائعة في مضمار السحر، وكان يُعتقد أن في حوزتهم أسرار السحر والتنجيم.

أما اليهود فقد كانوا - وما زالوا - من أكثر الشعوب تعلمًا وممارسة للسحر، فقد ورثوه صاغرًا عن صاغر مما تقولته الشياطين على ملك سليمان عليه السلام، ويعرف سحرهم باسم مكايد بني إسرائيل وهي تسع وثلاثون مكيدة - أي عملًا سحريًا - فيها من الضر المقصود ما الله به عليم، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.



أما السحر لدى أهل الصين فهو من أقدم ما عرفته الإنسانية منذ ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام، ويعتقد أن كتاب (التغيرات) لكونفوشيوس الصيني هو أقدم كتاب في هذا المضمار.

هذا بإجمال سرد دال على تغلغل السحر في سائر المجتمعات، بما يفسر - تأريخيًّا - نسبة عامة الأقوام دعوات رسلهم عليهم السلام إلى السحر، ووصمهم للأنبياء بأنهم سحرة يبغون حيازة الملك بسطوة سحرهم، وبتمرسهم في فنونه.

قال الله تعالى:

(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) الذّاريَات: 52.

وقال سبحانه حكاية عن قوم فرعون، وعن كفار قريش:

(قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) القَصَص: 48.



وقال عز من قائل:

(وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) الأعرَاف: 108-109. (15)

والسحر يختلف من حيث، مناهجه ووسائله، فمنه ما يعتمد أسبابًا طبيعية، وهو المسمى بالسحر الأبيض، ومنه ما يستدعى وسائل روحانية، وشيطانية على الأخص وهو المعروف بالسحر الأسود (16).

***

مباديء السحر:

يقول السير جميس فريزر: إذ حللنا مبادئ الفكر التي يقوم عليها السحر، فإنه يحتمل أن نجدها تنحصر في مبدأين اثنين:

الأول: هو أن الشبيه ينتج الشبيه أو أن المعلول يشبه علته.



الثاني: هو أن الأشياء التي كانت متصلة بعضها البعض في وقت ما تستمر في التأثير بعضها في بعض من بعيد بعد أن تنفصل فيزيقيا.

ويمكن أن نسمي المبدأ الأول " قانون التشابه " وأن نسمي المبدأ الثاني " قانون الاتصال " أو " التلامس "، ومن المبدأ الأول يستنتج الساحر أن في استطاعته تحقيق الأهداف والنتائج عن طريق محاكاتها أو تقليدها.

ومن المبدأ الثاني يستنتج أن كل ما يفعله بالنسبة لأي شيء مادي سوف يؤثر تأثيرًا مماثلًا على الشخص الذي كان هذا الشيء متصلًا به في وقت من الأوقات، سواء أكان يؤلف جزءًا من جسمه أو لا يؤلف.

وعلى ذلك يمكن أن نسمى التعاويذ والطلاسم التي تقوم على قانون التشابه بالسحر التشاكلي أو سحر المحاكاة، بينما نسمى تلك التي تستند إلى قانون الاتصال أو التلامس بالسحر الاتصالي.(17)



والساحر يعتقد بطريقة ضمنية أن المبادئ التي يستخدمها في ممارسة فنونه هي ذاتها المبادئ التي تنظم عمليات الطبيعة الجامدة أو غير الحية. وهذا معناه أنه يسلم منذ البداية بأن قانون التشابه والاتصال يصدقان على كل شيء وليس على السلوك الإنساني فقط.

وباختصار فإن السحر نسق كاذب أو زائف للقانون الطبيعى مثلما هو موجه مضلل للسلوك.

إنه علم كاذب زائف بقدر ما هو فن عقيم، فإذا نظرنا إليه على أنه نسق للقانون الطبيعي، أي تقرير للقواعد التي تتحكم في تتابع الأحداث في العالم كله، فإنه يمكن تسميته حينذاك بالسحر النظري.

أما إذا نظرنا إليه على أنه مجموعة من القواعد والتعاليم التي يتبعها الناس في تحديد أهدافهم فإنه حينذاك تسميته بالسحر العملي.



ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار أن الساحر البدائي كالشامان لا يعرف سوى الجانب العملي من السحر، وأنه لا يحلل أبدًا العمليات الذهنية التي تقوم عليها أفعاله وممارساته، كما أنه لا يشغل نفسه بالتأمل والتفكير في المبادئ المحددة التي تنطوي عليها تصرفاته. (18)

***

هوامش

(1) الدين، محمد عبدالله دراز، الناشر: دار القلم ص - ص 30-31.

(2) نفسه ص 35-37 بتصرف يسير.

(3) الأديان الوضعية، جامعة المدينة العالمية ص - ص 13-14.

(4) العقيدة وخطر الانحراف. د/ على عبد العال الشناوي. ص6.

(5) العقيدة وأثرها في بناء الجيل. المؤلف: عبد الله يوسف عزام (المتوفى: 1410هـ-) ص10.

(6) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائرى، الناشر: المكتبه التوفيقية. ص18.

(7) دستور العلماء بكري عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، ترجمة حسن هاني، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1421ه- / 2000م، ح2 ص 38.

(8) مجمع اللغة العربية، مصر ص 194.

(9) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني، ت 1094 ه-، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ص- 390.

(10) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني ت 816ه، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1402ه- / 1990م. ص 92.

(11) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ح1ص551.

(12) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الرابعة 1420 ه-، ح 2 ص- 783.

(13) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424ه-) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، 1429 ه- - 2008 م،ج2 ص 1040.

(14) الحذر من السحر. دراسة علمية لحقيقة السحر، وواقع أهله من منظور الكتاب والسنة، مع بيان المشروع في الوقاية.

(15) المرجع السابق ص - ص 141- 143.

(16) هامش كتاب الدين. للدكتور / محمد عبد الله دراز.ص42.الناشر دار بن الجوزي. علاج، د. خالد بن

عبد الرحمن بن علي الجريسي. الناشر: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض. ص82.

(17) الغصن الذهبي، فريزر: جميس، ترجمة أحمد أبو زيد، الناشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة 1971م، ح1 ص 104.

(18) نفسه ص104

***



الشامانية

الشامانية ظاهرة، من الظواهر الدينية، التي ظهرت في سيبريا وآسيا الوسطى.

وتقوم الشامانية على تقنية الوجد (1).

ولوحظت ظواهر سحرية دينية، مشابهه للشامانية، في أمريكا الشمالية، والجنوبية، وإندونسيا، وجزر أوقيانوسيا وسواها، وتتعايش الشامانية مع الأشكال الأخرى للسحر والدين، وكما هو معروف أنه من الممكن أن يوجد السحر والسحرة في كل أنحاء العالم، إلا أن الشامانية تبدي خصوصية سحرية معينة، مثل (السيطرة على النار، والطيران السحري). (2)

***

التعريف بالشامانية والشامان:

الشامانية: طقوس صوفيه (متطرفة) (3) تمكن من يقوم بها من تعلم السحر.



فإن أي شخص رغب في الانخراط في مهنة الشامان إلا وأمكنه التهيؤ لذلك عبر الاختلاء في الغابة حيث يتيه في مغامرة متعاطيًا فيها للزهد، بمعنى أنه يتعين على الشامان المرشح أن يتسكع عاريًا، ويتأرجح فوق الأشجار ويأكل اللحوم النيئة والكريهة مثل آذان الكلاب، والثعابين والضفادع. يجب عليه أن يخضع لضروب من تقتيل الجَسَد بالتعذيب الذاتي أو بكبح الشهوات إلى أن يحصل على نشيد سحري.

وحيث يبدأ تعلم الشامان من أهالي الطيرينو Tereno منذ الطفولة. خلال السنة الأخيرة من خُلوته، يجب عليه أن يمتنع عن أكل اللحم، والشحم، والملح، والمنهيوت (جنس جنيبات يستخرج من جذورها دقيق نشوي) والفواكه. وفي يوم معين، ينتزع الأستاذُ من فم الشامان المبتدئ ضفدعة، وثعبانًا صغيرًا، ورُتيلاء (عناكب جنس سامة) ويقدمها له كي يأكلها. أخيرًا يجب على المبتدئ أن يغني ليلة بكاملها إلى أن ينكشف له روح شامان ميت.(4)



والشامان رجل زاهد، يجيد الأعمال السحرية ويستخدمها في مساعدة الناس.

وعندما يصل ابن شامان ما إلى سن تعاطي المهنة العائلية، يبني أبوه كوخًا صغيرًا، ثمَّ يضع في كل ركن من أركانه أوعية تحتوي على بخور سحرية تتنوع طبيعتها بحسب جهاتها الأصلية. خلال خمسة أيام يكون الكوخ محرمًا على الجميع، باستثناء الشامان. وفي اليوم الخامس يُساق الشامان المبتدئ إلى داخل الكوخ في غمرة صراخ النساء وزعيقهنَّ. يجد في الوسط وعاءً احتفاليًا سبق وأن تعرَّض للتعديل حسب قواعد صارمة جدا. يملؤه الأب بمحتوى الأوعية الأخرى مبتدئا بالوعاء الموجود في الركن المتجه نحو الغرب، وآنذاك يشرب المبتدئ هذه العصيدة المقرفة سابقة الذكر. وعندما ينتهي، يكسِّرُ أبوه الوعاء فوق رأسه. يمكث المسارُّ عدة أيام معتزلًا داخل الكوخ وهو موصدٌ عليه، ويصوم فيه صيامًا قاسيًا.

وتكمن قدرة الشامان بالخصوص في لعابه الذي سبق إشباعه بالقوة السحرية للمشروب الذي تناوله خلال



مُسارَّتِه. والشامان الذي يسعى إلى التخصص في علاج لسعات الأفاعي يتعين عليه أن يمتص أفاعي ويأكل لحومها.(5)

وصدق الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم):

عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ - رضي الله عنه - قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - سَرِيَّةً يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ، فَأَفْضَى بِهِمُ الْقَتْلُ إلى الذُّرِّيَّةِ فَلَمَّا جَاؤُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: "مَا حَمَلَكُمْ عَلَى قَتْلِ الذُّرِّيَّةِ؟"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانُوا أَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ) (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا وَيُنَصِّرَانِهَا) (6).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -:



"(مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ [وفي رواية: إِلَّا يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ] (حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ) (فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) (أَوْ يُشَرِّكَانِهِ (فَإِنْ كَانَا مُسْلِمَيْنِ فَمُسْلِمٌ) (كَمَا تُنْتِجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ (هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا ") (قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟، قَالَ: " اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ. (7)

وَاِخْتَلَفَ السَّلَف فِي الْمُرَاد بِالْفِطْرَةِ فِي هَذَا الْحَدِيث عَلَى أَقْوَال كَثِيرَة، وَأَشْهَرُ الْأَقْوَال أَنَّ الْمُرَاد بِالْفِطْرَةِ الْإِسْلَام، قَالَ اِبْن عَبْد الْبَرّ: وَهُوَ الْمَعْرُوف عِنْد عَامَّة السَّلَف، وَأَجْمَعَ أَهْل الْعِلْم بِالتَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ تعالى (فِطْرَة اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْهَا) الْإِسْلَام، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَة فِي آخِر الحَدِيث: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فِطْرَة اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْهَا)، وَبِحَدِيثِ عِيَاض بْن حِمَار عَنْ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم -



فِيمَا يَرْوِيه عَنْ رَبّه: " إِنِّي خَلَقْت عِبَادِي حُنَفَاء كُلّهمْ، فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِين عَنْ دِينهمْ "، وَقَالَ اِبْن جَرِير: قَوْله: (فَأَقِمْ وَجْهك لِلدِّينِ) أَيْ: سَدِّدْ لِطَاعَتِهِ، (حَنِيفًا) أَيْ: مُسْتَقِيمًا، (فِطْرَة اللَّه) أَيْ: صِبْغَة اللَّه، وَهُوَ مَنْصُوب بِفِعْلٍ مُقَدَّر، أَيْ: اِلْزَمْ، وَقَدْ قَالَ أَحْمَد: مَنْ مَاتَ أَبَوَاهُ وَهُمَا كَافِرَانِ حُكِمَ بِإِسْلَامِهِ، وَتَعَقَّبَهُ بَعْضهمْ بِأَنَّهُ كَانَ يَلْزَم أَنْ لَا يَصِحّ اِسْتِرْقَاقه، وَلَا يُحْكَم بِإِسْلَامِهِ إِذَا أَسْلَمَ أَحَد أَبَوَيْهِ، وَالْحَقّ أَنَّ الْحَدِيث سِيقَ لِبَيَانِ مَا هُوَ فِي نَفْس الْأَمْر، لَا لِبَيَانِ الْأَحْكَام فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ اِبْن الْقَيِّم: لَيْسَ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ " يُولَد عَلَى الْفِطْرَة " أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَطْن أُمّه يَعْلَم الدِّين، لِأَنَّ اللَّه يَقُول (وَاَللَّه أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُون أُمَّهَاتكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا)، وَلَكِنَّ الْمُرَاد أَنَّ فِطْرَته مُقْتَضِيَة لِمَعْرِفَةِ دِين الْإِسْلَام وَمَحَبَّته، فَنَفْس الْفِطْرَة تَسْتَلْزِم الْإِقْرَار وَالْمَحَبَّة، وَلَيْسَ الْمُرَاد مُجَرَّد قَبُول الْفِطْرَة لِذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَا يَتَغَيَّر بِتَهْوِيدِ الْأَبَوَيْنِ مَثَلًا، بِحَيْثُ يُخْرِجَانِ الْفِطْرَة عَنْ الْقَبُول، وَإِنَّمَا الْمُرَاد أَنَّ كُلّ مَوْلُود يُولَد عَلَى إِقْرَاره بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَلَوْ خُلِّيَ وَعَدَم الْمُعَارِض لَمْ يَعْدِل عَنْ ذَلِكَ إِلَى غَيْره، كَمَا أَنَّهُ يُولَد عَلَى مَحَبَّة مَا يُلَائِم بَدَنه، مِنْ اِرْتِضَاع اللَّبَن حَتَّى يَصْرِفهُ



عَنْهُ الصَّارِف، وَمِنْ ثَمَّ شُبِّهَتِ الْفِطْرَة بِاللَّبَنِ، بَلْ كَانَتْ إِيَّاهُ فِي تَأْوِيل الرُّؤْيَا، وَاَللَّه أَعْلَم، وَقِيلَ: أَنَّ الْمُرَاد بِالْفِطْرَةِ الْخِلْقَة، أَيْ: يُولَد سَالِمًا لَا يَعْرِف كُفْرًا وَلَا إِيمَانًا، ثُمَّ يَعْتَقِد إِذَا بَلَغَ التَّكْلِيف، وَرَجَّحَهُ اِبْن عَبْد الْبَرّ، وَقَالَ: إِنَّهُ يُطَابِق التَّمْثِيل بِالْبَهِيمَةِ وَلَا يُخَالِف حَدِيث عِيَاض، لِأَنَّ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ: (حَنِيفًا) أَيْ: عَلَى اِسْتِقَامَة، وَتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِاسْتِشْهَادِ أَبِي هُرَيْرَة بِالْآيَةِ مَعْنًى، وَقَالَ اِبْن الْقَيِّم: سَبَب اختلاف الْعُلَمَاء فِي مَعْنَى الْفِطْرَة فِي هَذَا الْحَدِيث أَنَّ الْقَدَرِيَّة كَانُوا يَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَى أَنَّ الْكُفْر وَالْمَعْصِيَة لَيْسَا بِقَضَاءِ اللَّه، بَلْ مِمَّا اِبْتَدَأَ النَّاس إِحْدَاثه، فَحَاوَلَ جَمَاعَة مِنْ الْعُلَمَاء مُخَالَفَتهمْ بِتَأْوِيلِ الْفِطْرَة عَلَى غَيْر مَعْنَى الْإِسْلَام، وَلَا حَاجَة لِذَلِكَ، لِأَنَّ الْآثَار الْمَنْقُولَة عَنْ السَّلَف تَدُلّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ لَفْظ الْفِطْرَة إِلَّا الْإِسْلَام، وَلَا يَلْزَم مِنْ حَمْلِهَا عَلَى ذَلِكَ مُوَافَقَة مَذْهَب الْقَدَرِيَّة، لِأَنَّ قَوْله: " فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ إِلَخْ " مَحْمُول عَلَى أَنَّ ذَلِكَ يَقَع بِتَقْدِيرِ اللَّه تعالى، وَمِنْ ثَمَّ اِحْتَجَّ عَلَيْهِمْ مَالِك بِقَوْلِهِ فِي آخِر الْحَدِيث " اللَّه أَعْلَم بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ "(8)



والسؤل الذي يطرح نفسه الآن: كيف ينصب الرجل شامانًا؟

وللإجابة عن هذا السؤال، نجد أن هناك منهجين رئيسيين للمنضمين حديثا إلى الشامانات في آسيا الوسطى، والشمالية الشرقية وهما:

الأول: الانتقال الوراثي للمهنة الشامانية.

الثاني: الشعور العفوي بأن المرء مدعو إلى هذا العمل (النداء أو الانتخاب).

وثمة كذلك أحوال يصبح فيها الأفراد شامانات نتيجة إرادتهم الحرة (كما هو الأمر، مثلًا عند الشعوب التركية الألطائية)، أو بإرادة العشيرة كما هو الحال عند التونغور، ولكن أولئك الشامانات ذاتي الصنع يعدون أقل قوة من الذين ورثوا المهنة أو أطاعوا نداء الآلهة أو الأرواح.(9)

وغالبًا ما تكون شهرة الشامان نتيجة نداء فوق طبيعي يتجلى عبر لقاء مع إحدى الأرواح.



فإن الشخص الذي يتجول في الغابات يمكن أن يجد نفسه فجأة وجهًا لوجه أمام جني مجهول، يكون في الواقع روحًا، يسلمه عصا وريشًا وهو يقول له: «يمكنك الآن أن تغني. بمجرد ما تعود إلى بيتك غنِّ من أجلي».

كما يمكن للوحي الماورائي أيضًا أن يُترجم بارتعاش مزمن يستحوذ على المرشح عندما يكون وحيدًا في الغابة. وتلك علامة على تكون إحدى الأرواح بداخله. تحت تأثير هذا المس يأخذ الشخص - الذي سيصير شامانًا فيما بعد - في تسلق الأشجار وتناول لحوم الطير أو الكلاب طازجة.(10)

ومهما كانت الطريقة التي يتم بها اختيار الشامان، فلا يعترف به أنه كذلك حتى يتلقى نوعين من التعليم:

1- نوع وجدي (أحلام، وغيبوبيات...).

2- نوع تقليدي (تقنيات شامانية، أسماء الأروح ووظائفها، أساطير العشيرة وأنسابها، اللغة



السرية.....).(11)

وهنا نجد سؤالًا آخر يطرح نفسه: من أين يأتي الشامان بالقوة التي تجعله يتحمل هذه المشاق؟ أو ما مصادر قوته؟

وقد أجاب (ألفرد ميترو) على هذا السؤال فقال: ليُنجز الشامان المهام التي تُطَلبُ منه، فهو يغرقُ في حال عصبي من الفُتُور أو فرط تناول المنشطات باستخدام مسحوق «الهاطاكس»، وهو عبارة عن سُعُوطٍ تُستَحْضَرُ من مسحوق بذور السَّبخة.طالما يكون فيه تحت تأثير المخدِّرات، يُصْدِرُ أصواتًا حادة من صفارة مصنوعة من ساق طائر اليولو. وهو بهذه العملية لا يفصل روحه عن الجسد فحسب، بل ويحولها كذلك إلى طائر يحلق نحو بلاد الأرواح أو نحو الشَّمس.(12)

ثم كان السؤال المهم بعد كل هذه المشقة، والهيستريا العصبية، والاضطراب المزاجي، وتعذيب النفس، والتخبط كالمجانين:

ما وظيفة الشامان؟

يعدّ التطبيب وظيفة الشامان الأساسية. وعلاج الأمراض هو أساسًا كفاحٌ ضد الأرواح التي تبيدُ البشر باختلاس أرواحهم أو حشو أجسادهم بحشرات أو أفاعي أو عسالج (غصن دقيق أملس ينتهي غالبًا ببرعم ثمري) من الخشب.

ويتمثَّلُ العلاج بمعنى الكلمة في رقصة يقوم بها كل من الشامان ومساعدوه والمريض إذا سمحت له حالته الصحية بالمشاركة في الرقص. والضجيج الذي يحدثونه يكتسي أهمية قصوى في العلاج. بل إن المريض نفسه غالبًا ما يزوَّدُ بناقوسٍ يحَثُّ على استعماله. أحيانًا، يدنو الشامان منه ويصبغ خشخيشاته على امتداد جسده.

ثمة طقوس أخرى لا تُفَسّر إلا باعتبارها عمليات تطهير للمريض من الجراثيم. يُجَرَّد من ملابسه التي تنقَلُ إلى مكان بعيد، فتُنفَض، ومن ثم يسقط منها المبدأ المؤذي العالق بها. وفي بعض الحالات، يُغسَلُ المريضُ بماء



فاتر. وفي لحظة معينة من العلاج، تقع عمومًا في النهاية، ينفث شَامَانٌ في مريضه جُهْدَ ما استطاع. وفي نهاية الحصة العلاجية، يُطهِّرُ الأشياءَ المنشورة في الهواء الطلق. ولهذه الغاية يندسّ تحت الغطاء وينفث في هذه الأسقاط. وتعتبر هذه التزيينات، وأشياء أخرى ثمينة، هدايا مُقَدَّمة للمَرَض مُجاملة له بقدر ما تعَدُّ موجهة لروح الشر كي يكتفي بظل الأشياء.(13)

ويَسود الإيمانُ بفعالية هذه الظواهر الروحية أيضا بين أهالي الطوبا. فخلال جلسةٍ لعلاج طفل لسعه ثعبان وَضعَ أحد الحاضرين عقدًا على المريض إرضاء لروح الثعبان الذي اعتُقِدَ أنه قد استحوذ على روح الطفل. كان الشامان ينشد عزائم على مسمع المريض حثا للروح على الخروج. وكان يتوقف عن الغناء كي ينفث في يديه وبُوَيقٍ صغير، ومن حين لآخر كان يمص بقوة عنيفة مختلفَ أجزاء جسم الطفل المريض. كان يبحث بيديه عن أجزاء المخاط التي يزعم أنها كانت شذرات من الثعبان. وعندما ينتهي شامان من قبيلة

الليغوا امتصاصاته ونفثه، يُعلنُ طردَ الروح الشرير مغنيا، ثم يدعو روح المريض للعودة إلى جسدها، مَازجا بذلك علاج التدخُّل بفقدان الروح. وهروبُ الروح يعدُّ، حسب تشخيص الشامان، سببَ المرض الذي يتعين عليه علاجه، فإن الشامان يُرْسِلُ روحه بحثًا عن روح المريض ويحاول اكتشاف المكان الذي أخفاها فيه الروحُ المُغتَصِب. يخلصها، ثم يعيدها إلى غشائها الجسدي. ورغم أنَّ ممارسة الطب تشكل الوظيفة العامة التي يؤديها الشامان، فهي مع ذلك لا تشكل نشاطه الوحيد، إذ يمكنه أن يبعد كل شر يتربص بعشيرته. وعندما تشعر جماعة من الهنود بالقلق، فإن الشامان ينشغل لذلك كثيرًا، فيسعى لطمأنة ذويه، ويقضي الليلة بكاملها وهو يصبغ خشخيشته ويغني عزائم طاردة للأرواح الشريرة. (14)

وهذا يسمى في العصور البدائية بالسحر العام أو العمومي، وهو السحر الذي يمارس من أجل المجتمع كله. فحيث تمارس الطقوس التي من هذا النوع التي

تهدف إلى تحقيق الخير أو الصالح العام يكون من الصعب اعتبار الساحر مجرد ممارس خاص، وإنما يصبح إلى حدٍّ ما موظفًا أو ممارسًا عامًّا. حيث يتوقف خير القبيلة وصالحها مثلًا على أداء هذه الممارسات السحرية. فإن الساحر نفسه يحتل مركزًا عاليًا ويحظى بقدر هائل من النفوذ وحسن السمعة، بل إنه يرقى إلى مرتبة الرئيس أو الملك ويتمتع بسلطاته. (15)

ومن هنا كانت الشامانية تجذب إلى صفوفها أكفأ القبائل وأكثرهم طموحًا في تحقيق المجد والثروة والسلطة.

وما تأكد عند الشامانين من مناجاة الأرواح، ومخاطبتها ورؤيتها دال على أن وراء هذه الحياة المادية حياه أخرى روحية وجثمانية، ولكنهم بفكرهم الخطأ يعتقدون أتهم يناجون أرواح البشر، والحق أنه أرواح لبعض الجن والشياطين.



وأنك لتعجب من هؤلاء أين ذهبت عقولهم؟! أتعذيب النفس وصراعات الجنون تعد كمالًا أم نقصًا؟!

إن مما يستدل به على عقل العاقل سكوته وسكونه وخفض بَصَره وحركاته فِي أماكنها اللائقة بهَا ومراقبته للعواقب فَلَا تستفزه شَهْوَة عاجلة عقباها ضَرَر وتراه ينظر فِي الفضاء فَيتَخَيَّر الْأَعْلَى والأحمد عَاقِبَة من مطعم ومشرب وملبس وَقَول وَفعل وَيتْرك مَا يخَاف ضَرَره ويستعد لما يجوز وُقُوعه.(16)

قال تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤهُمْ مِنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أجَلَنَا الذي أَجَّلْتَ لَنا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إلا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) الأنعام: 128.

يعنى قد استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم.

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن وغيرهم "أضللتم منهم كثيرًا" فيجيبه سبحانه أولياؤهم من الإنس

بقوله:

(رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) الأنعام: 128.

يعنون استمتاع كل نوع بالنوع الآخر. فاستمتاع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يأمرونهم به: من الكفر، والفسوق، والعصيان. فإن هذا أكثر أغراض الجن من الإنس. فإذا أطاعوهم فيه فقد أعطوهم مُنَاهُم. واستمتاع الإنس بالجن: أنهم أعانوهم على معصية الله تعالى، والشرك به بكل ما يقدرون عليه: من التحسين، والتزيين، والدعاء، وقضاء كثير من حوائجهم، واستخدامهم بالسحر والعزائم، وغيرها. فأطاعهم الإنس فيما يرضيهم:من الشرك، والفواحش، والفجور، وأطاعتهم الجن فيما يرضيهم: من التأثيرات، والإخبار ببعض المغيبات. فتمتع كل من الفريقين بالآخر. وهذه الآية منطبقة على أصحاب الأحوال الشيطانية الذين لهم كشوف شيطانية وتأثير شيطاني. (17)

***



الحد المكاني للشامانية

الشامانية في سيبيريا وآسيا الوسطى.

الشامانية في أمريكا الشمالية.

الشامانية في أمريكا الجنوبية.

الشامانية عن الترك.

الشامانية في سيبيريا وآسيا الوسطى:

إن الفوارق البيئية والثقافية بين شعوب سيبيريا وآسيا ليست بالقليلة.

فطريقة عيش صائدي الثدييات البحرية، ومربى الأيائل الأهلية في القطب الشمالي، تختلف كثير عن طريقة البدو الرحالة.

وكذلك ثمة اختلاف في مكانة الشامان في الجماعة، كما أن هناك اختلافًا في الإضافات الطقسية، وفي مورث المعتقدات.



والشامانية عمومًا تقوم على المفهومات الروحية، لشعوب الصيد الشمالي، ومن جهة أخرى، فإن طيران الروح أي قدرة الشامان على السفر إلى العالم الآخر، هو الملمح اللافت للنظر في المركبات الشامانية، الشمالية والغربية.

وكلمة شامان وصلت إلى المصادر الروسية، من الكلمة التونغوزية (سامان) (خامان)، إذا يوجد مثل هذه الأسماء المتنوعة للشامان في سيبريا وآسيا الوسطى.

وقد قدمت في القرن التاسع عشر نظرية تقول بأن الكلمة مستمدة، من الكلمة البالية (سامانا)، وهي بالسنسكريتية (سرامانا)، وبالصينية (شا - من).

وعلى أية حال فإن الرأي الذي يقول بأن جذور الشامانية تكمن في ثقافات الصيد في العهد الأول من العصر الحجري هو الصواب.

لأن الانتشار الواسع لظاهرة الشامانية، واستيطان بعض أفكارها الأساسية (طيران الروح، المثنوية



الروحية...) في منطقة القطب الشمالي وجنوبها يؤيد ذلك.(18)

وكان سكان وسط سيبيريا يعتقدون أن الأشياء التي من نفس النوع تجذب بعضها بعضًا بسبب الأرواح التي تسكنها، لذلك فهم يعلقون عظام فك الغزلان والخنازير البرية في بيوتهم حتى تتمكن الأرواح التي تسكنها أن توجه الكائنات الحية التي تماثلها إلى طريق الصيادين حتى يتمكنوا من صيدها.(19)

لقد وفرت جماعات القنص، وصيد السمك الصغيرة، في سيبريا الشمالية مكانا للشامانية، مختلفا تمام الاختلاف عن مكان الثقافات الزراعية، وتعتمد مكانة

الشامان في الجماعة ومهماته على السواء، على الثقافة الداعمة، واقتصادها، وطبيعة بنيتها الاجتماعية، وممارستها الدين بوصفه كلًّا، والمحافظة على الصلة بين أعضاء العشيرة الأحياء والموتى.

وكذلك كان للشامان طبقات:



فكان الشامان الأشد احترامًا، عند الأنتسي (شعب سامودي) هو ال (بدتود)

الذي يكون على اتصال بالأرواح التي تعيش في السماء، والأقل شدة في الاحترام يعد (دانو) الذي في مقدوره أن يحمي البشر من الأروح الشريرة، والأقل احترامًا هو شامان السادوو الذي يستطيع الاتصال بالموتى، وبالطريقة نفسها كانت أدنى طبقة للشامانات عند الناناي غولدي (هم السيورينكا) أي الشامانات الذين يعالجون المرضى.

والذين لهم المقام الأكبر شامانات الكاساتي الذين كان لديهم تمكن من المعرفة الشامانية كلها.(20)

ومن العجيب أن الشامان "الكاهن " يمكن أن ينتابه مزاج شاذ، كثيرًا ما يكون شديد العصبية، وفي كل أنحاء سيبريا وآسيا الوسطى كان الاختيار مسبوقًا بمرض الشامان، ويمكن أن تكون الأعراض الأولى هي أحوال فقدان التوازن العقلي، أو نوبات الهيستريا.(21)



***

الشامانية في أمريكا الشمالية:

في الكتابات العامة في موضوع الأمريكيين الشماليين الأصليين، يسمى كل صنف من أصناف الكاهن أو الشافي، والمختص بالشعائر والساحر بالشامان.

وللشامانات الأمريكيين الشماليين سلطة روحية خارقة للعادة، أي قدرة على التأثير في العالم من خلال القوى الروحية.

وهكذا فإن العنصر المحوري في الشامانية الأمريكية الشمالية هو السلطة الروحية (طبيعتها - واكتسابها - وفقدانها).

وتتباين الأشكال الروحية تباينًا كبيرًا، فيتماثل بعضها مع الحيوان، أو الأشكال الطبيعية الأخرى، وغيرها مع الشخصيات الأسطورية والآلهة، وقد يتحد حتى مع شبح سلف من الأسلاف، أو روح كائن من الكائنات الحيه، بما يتناسب مع سلطة الشامان الروحية.



ويصل الأفراد إلى السلطات الروحية بعدة طرق منها:

الوراثة، والنشدان الشخصي، والشراء، والاختيار من المجتمع أو السلطة الروحية.

ولا يدخل استخدام العقارات المحدثة للهلوسة غلا نادرًا في عمليات نشدان السلطة، إنما الأكثر شيوعًا أن تتضمن هذه العمليات الصوم والعزلة.

وفي أمريكا الشمالية الوظيفة الأساسية للشامان هي الشفاء، وأعم نظريتين للمرض هما:

1- نظرية تطفل الشيء، وهي نتيجة للنية الكيدية، ويعزى إلى السحر الشيطاني، والسحر الشرير، بيد أنه يكون في بعض الأحيان تمثيلا أو تشخيصا، والعلاج في هذه الحالة يكون بتقنية الامتصاص، التي يمتص فيها المعالج (الشامان) ذلك الشيء من الجسد، مستخدمًا شيئًا من قبيل الأنبوب أو البوق أو فمه مباشرة على جسد الشخص في الموضع الذي يشخص



أنه فيه، وحينما يتم إخراج الشيء (الذي يكون أو لا يكون معروضًا للحاضرين) يثبت نجاح العلاج.!

2- نظرية ضياع الروح، وهي نظرية المرض الشائعة، وهي قائمة على عدة أنواع من النظريات، وهي نظريات الأشكال الروحية، والحياتية التي يمكن أن تبارح الجسد، أو تستل، أو تسرق منه.

والعلاج المستخدم في هذه الحالة، التحليقات السحرية، وتلاوات الصلاة، لاسترداد الشكل الروحي أو الحياتي واستعادته، فهي بذلك تعيد الصحة والحياة! (22)

وهذا كلام لا يقبله صاحب فطره سليمه، أو عقل قويم، فإن تناوب الحياة والموت على الشخص الواحد، لم يتحقق في التجارب العادية، كتبادل النوم واليقظة عليه، ولكن الحكم بعودة الروح إلى البدن بالفعل شيء تأباه الطباع السليمة، وتقاومه غريزة الحياة النفسية، فإن عودة الروح بعد غيبتها، ووجدان المفقودة ولو طال فراقها، شيء غير مألوف ولا مقبول. (23)



ويعتقد الهنود الحمر أن بإمكانهم إلحاق الأذى بأعدائهم عن طريق رسم صورة لهذا العدو على الطين أو الرمل أو الحصول على أي جزء من جسمه ونخسة بقطعة حادة من الخشب او الحاق أي نوع آخر من الأذى به مما يترتب عليه إلحاق الأذى بصاحب هذه الصورة. (24)

وهناك عدة وظائف أخرى منتشرة بين الشامانات الأمريكيين الشماليين مثل:

التحكم بالجو، والوظائف المتعلقة بالصيد (مثل التكهن بالصيد، وإخضاع الطرائد للسحر، والتشفع بسيد الحيوانات أو سيدتها، والوظائف المرتبطة بالحرب، والممارسات التكهنية العامة الكاشفة للغيب مثل تشخيص الدواء، والتنبؤ بالمستقبل، والعثور على الأشياء الضائعة).

وهذه الوظائف تأتي في المرتبة الثانية بعد الشفاء.

توجد الشامانية وما يتصل بها من المعتقدات والممارسات على نطاق واسع في كل أنحاء أمريكا



الشمالية.

فمثلًا لدى قبائل الإنويت (الإسكيمو)، شخصيات أشبه بالشامانات السيبريين، الذين يعملون أفراد أو جماعات في تقنيات الوجد، بالإضافة إلى الأعمال المثيرة

وكشف الغيب لخدمة الأفراد الذين هم بحاجه إلى العلاج، ويخدمون الجماعة بالتحكم بحالة الجو، وجلب الطرائد لصيدها.

والتحليقات السحرية والتحولات إلى الكائنات الروحية هي من الصفات المميزة لشامانات الإنويت.

وتظهر الممارسات الشامانية،في الساحل الشمالي الغربي (بلاتو) ومناطق كاليفورنيا الشمالية، وهناك استخدام لتقنيتي الوجد والامتصاص.

ويعتقد أن الزي الشامانى شديد التأثير، وهو الوسيلة التي من خلالها ينتقل المورث الشاماني من شخص إلى آخر.



وفي منطقة البلاتو يؤدى الشامانات الذكور والإناث الغناء والعبادة العرفية في الأعمال الطقسية.

وفي قبيلة الغونكوين توجد الميديون (الجمعية الطبية الكبيرة) وهي جزء مهم من الأنظمة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وممارسات الميديون تستدعي إطلاق النار الطقسي، والقتل الطقسي للمبتدئ الذي يعود للحياة عضوًا في المجتمع حديث الولادة.

وفي الجنوب الغربي الأمريكي الشمالي، توجد في ثقافات البويبلو شامانات وكهنة على السواء، والشامانات إما إن يشاركوا في الأعمال الاحتفالية المثيرة المتميزة وإما أن يظلوا بعيدين عنها.

وعند البيما في الجنوب الغربى، يعالج الشامانات أنواعًا كثيرة من الأمراض، التي تعزى إلى القوى الروحية الموجودة مع الحيوانات وأشكال الطبيعة الأخرى.

والعلاج يتضمن المص، والنفخ، والغناء.

وفي العقود الأخيرة في أوكلاهوما والمناطق الأخرى، حيث احتك الأمريكيون الأصليون بالقبائل الأخرى، ظهرت أشكال مستجدة من الشامانية، موجهة نحو التعقيد ات والأخطار المقترنة ببيئة متثاقفة.(25)

***

الشامانية في أمريكا الجنوبية:

إن الشامانية الأمريكية الجنوبية، في جدليات مقدساتها وتقنيته، تكشف عن أوجه الشبه بين الشامانية في أمريكا الشمالية والجنوبية، وكذلك سيبريا.

وتتضمن أوجه الشبه الأغراض المألوفة في الشامانية السيبرية، وشامانية الإنويت (الإسكيمو) المهنة الصوفية، المرض البدائي، وتجليات الأرواح المساعدة، والزواج بالزوجات الروحانيات، والأزواج الروحنين بالنسبة للإناث، واغتصاب الروح، والمرض من خلال



فقدان الروح، أو إقحام قذائف المرض في الجسم بطريقة سحريه، وبالعكس إعادة الصحة عبر استعادة الشامان لروح المريض التائهة، أو المخطوفة، وكذلك امتصاص الشيء الدخيل المسبب للسقم، والعالمان العلوي والسفلي المرتبان بعضهما فوق بعض، واللذان يسافر الشامان عبر مستوياتهما في طيران سماوي، أو هبوط إلى المناطق السفلية، والأشجار العالية، بوصفها دعائم السماء ذات الصفات الذكرية والرحمية "الأنثوية" على السواء، والشامانات السفليون الكبار الأوائل، وأبطال الثقافة بوصفهم محولي الشامان، والتكهن بالحوادث المقبلة والجو، وشروط الصيد المحبذة.

وما له الأهمية الأولى في كل مكان هو الغيبوبة الوجدية، التي يتم التوصل إليها في الأكثر عبر استخدام عقارات الهلوسة النباتية، والتي من خلالها يرمي الشامان بروحه إلى العالمين الآخرين (العلوي - السفلي) ويعود منها ومعه كلمة الراحل، ورغبات القوى الكبرى، والمعرفة المعظمة، وتأكيد الجغرافيا المقدسة،



وعلم الكون المقدس اللذين ترتب بهما الجماعة بيئتها الاجتماعية.

وهذه المعرفة تجعل الشامان لا يستغنى عنه في المحافظة على التوازن الاجتماعي، والميتافيزيقي. (26)

والعجب كل العجب من أي روح هذه التي تسافر عبر العالم العلوي، والسفلي، والأشجار.!

وهذه هي الحالة الشيطانية التي ذكرها بن القيم في كتاب (الروح) فقال: وَالْحَال الشيطاني نسبته أما شرك أَو فجور وَهُوَ ينشأ من قرب الشَّيَاطِين والاتصال بهم ومشابهتهم وَهَذَا الْحَال يكون لعباد الْأَصْنَام والصلبان والنيران والشيطان فَإِن صَاحبه لما عبد الشَّيْطَان خلع عَلَيْهِ حَالًا يصطاد بِهِ ضعفاء الْعُقُول وَالْإِيمَان وَلَا إِلَه إِلَّا الله كم هلك بهؤلاء من الْخلق ليردوهم وليلبسوا عَلَيْهِم دينهم وَلَو شَاءَ الله مَا فَعَلُوهُ فَكل حَال خرج صَاحبه عَن حكم الْكتاب وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول فَهُوَ شيطاني كَائِنًا مَا كَانَ وَقد سَمِعت بأحوال السَّحَرَة وَعباد النَّار



وَعباد الصَّلِيب وَكثير مِمَّن ينتسب إِلى الْإِسْلَام ظَاهرا وَهُوَ بَرِيء مِنْهُ فِي الْبَاطِن لَهُ نصيب من هَذَا الْحَال بِحَسب موالاته للشَّيْطَان ومعاداته للرحمن وَقد يكون الرجل صَادِقًا وَلَكِن يكون ملبوسًا عَلَيْهِ بجهله فَيكون حَاله شيطانيًا مَعَ زهد وَعبادَة وإخلاص لَكِن لبس عَلَيْهِ الْأَمر لقلَّة علمه بِأُمُور الشَّيَاطِين وَالْمَلَائِكَة وجهله بحقائق الْإِيمَان وَقد حكى هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاء من لَيْسَ مِنْهُم بل هُوَ متشبه صَاحب مخاييل ومخاريق وَوَقع النَّاس فِي الْبلَاء بِسَبَب عدم التَّمْيِيز بَين هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاء فَحَسبُوا كل سَوْدَاء تَمْرَة وكل بَيْضَاء شحمة وَالْفرْقَان أعز مَا فِي هَذَا الْعَالم وَهُوَ نور يقذفه الله فِي الْقلب يفرق بِهِ بَين الْحق وَالْبَاطِل ويزن بِهِ حقائق الْأُمُور خَيرهَا وشرها وصالحها وفاسدها فَمن عدم الْفرْقَان وَقع وَلَا بُد فِي إشراك الشَّيْطَان، فَالله الْمُسْتَعَان، وَعَلِيهِ التكلان.(27)

***

وللشامانية أمريكا الجنوبية بعض الملامح الخصوصية منها:

1- الخشخيشة :(28)

وهي الخشخيشة المقرقعة، بوصفها وسيلة الاصطكاك، التي لا غنى عنها في الفنون الشامانية في أمريكا الجنوبية. وهي بديل عن الطبل.

وحتى الأماكن التي يستخدم فيها الطبل كما عند المابوتشية الأروكانين في الأرجنتين والتشيلي، فإنهم يستخدمون الخشخيشة بجانب الطبل.

وصوت الخشخيشة، بمصاحبة الأغنيات التي يتعلمها الشامان من الأروح تمكنه من تركيز قدراته من أجل الطيران أو الهبوط، إلى العالمين الآخرين.(29)

***

2- اليغور: (30)

من السمات المميزه للشامانية الأمريكية الجنوبية، استخدام النبتات التي تسبب الهلوسة من أجل التحول إلى يغور.



والشامانات وحدهم هم من لديهم القدرة على التحول إلى يغور، واليغور قد لا يكون حيوانًا فعليًا، بل تتحول إلى شامانات، أو حملة لأرواح الشامانات الموتى، لذا فقتل اليغور محفوف بالمخاطر الخارقة للطبيعة.

وذكر تيودور كوخر الذي سافر إلى مجالات واسعه بين هنود شمال البرازيل وفنزويلا (1911-1913) أن كل الشامانات الذين قابلهم، أو سمع عنهم، قد ماثلوا أنفسهم مع اليغور، وكانت لهم جميعًا تقنيات التحول إلى يغور، وهي تتضمن ارتداء جلود اليغور، أو مخالبة، أو أسنانه، بالإضافة إلى السكر بالنباتات ذات الفاعلية النفسية.(31)

***

3- العقارات النباتية الهلسية (32) :

تقوم الممارسات الشامانية، من الوجهة العلمية على الغيبوبة الوجدية، التي تهبها العقارات الهلوسية النباتية القوية، وعلى الخصوص عقار الياغه، وهو منقوع كرمة الباليستريوبسيس كبي.



وإلى جانب الياغ اكتشف الهنود الأمريكيون الجنوبيون أنواعًا أخرى من العقارات تستخدم فردية، أو مع غيرها، وهي ما بين ثمانين ومائة (180) نباتًا.(33)

وهذه أهم السمات التي تميز بها الشامانيون الأمريكيون الجنوبيون، عن غيرهم.

***

الشامانية عند الترك:

تظهر العقائد الشامانية عند الترك، في مراسم الجنائز والدفن، حيث كان الأتراك يذبحون عند القبور ويقيمون التماثيل عند قبور الرؤساء العسكريين، ظنًّا منهم أن القتلى سيصبحون خدمًا لقاتليهم في الحياة الآخرة.

وهذه العقيدة حد فاصل بين الشعوب البدائية والمتحضرة، وذلك أن الشامانية وما شابهها لا تقوم على أسس أخلاقية، وليس معنى إيمانهم باليوم



الأخرى أنهم يؤمنون بالحساب وبأنهم سيسألون عم يفعلون.

ولذلك فإن القاتل عندهم لا يخاف عقابا يوم القيامة، بل يعتقد أن منزلته في ذلك اليوم تزداد ارتفاعًا بازدياد عدد من قتلهم وكذلك تدفن معهم حاجياتهم الضرورية لاستعمالها في الدار الآخرة.(34)

فواعجبًا لمعتقدٍ القتل فيه فضيلة، أنه لا فضيلة للقاتل إلا إذا كان يدافع عن دينه، وعرضه، وماله، ووطنه. إنما القتل لمجرد نزوة عقل، وضلال فطرة سفيهة وسماجة لا يقبلها عقل قويم ولا فطرة سليمة.

قال تعالى:

(وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) الإسراء 33.

والكاهن الذي يتولى الاتصال بالأرواح هو الشامان الذي يصارع الشياطين ويقهرهم بقرنيه، حيث كان



يضع على رأسه قرني غزال أو قرنين من المعدن. والشامان أيضًا هو صاحب الحق في ذبح القرابين وتقديمها لآلهة الشر اتقاء لغضبها.(35)

أهم الأفكار والشعائر

الشامانية

بالرغم من اختلاف التقاليد الشامانية، في بعض الأماكن التي انتشرت فيها إلا أن الأفكار السائدة في الثقافة الشامانية تكاد تكون واحدة، وإليك أهمها.

الإله عند الشامان "الشامان الأول":

الشامانيون يعتقدون بألوهية الشامان، فالشامان عندهم إله سماوي حاكم يتكاثر إلى ما لا نهاية، إله خالق ولكن أعماله مفسدة من التدخل الشيطاني الماكر.

والأساطير حول أصل الشامان تفرض فكرتين:

الأولى:

أن الشامان الأول كان مخلوقًا من قبل الإله أو الآلهة السماوية.



الثانية:

بسبب تعاسة الشامان حددت الآلهة قدراته، وقررت أن تعطي شامانًا واحدًا للبشرية لكي يكافح الموت والأمراض والأرواح الشريرة.

وقد نتج هذا الشامان الأول من تزاوج بين امرأة بشرية ونسر ذي رأسين يحمل اسم الكائن الأعلى «آجي الخالق» الذي يتربّع فوق قمة شجرة العالم!

وكيف تتزوج امرأة بنسر؟!، وكيف يتكاثران؟! وأين النسر صاحب الرأسين؟

سبحان من قال (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لّتَسْكُنُوَاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مّوَدّةً وَرَحْمَةً إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكّرُونَ) الروم:21.

والشامان يتحمل موتًا طقسيًا وينزل إلى الجحيم، وأحيانًا يصعد إلى السماء، وبإمكانه التأثير في أرواح البشر، وبمقدوره أن يتركها تهيم وتتعرض لهجمات



الأرواح الخبيثة. ويؤدي الشامان مهماته عندما يكون في حالة الوجد فقط.

والوجد هو تجربة صوفية يعانيها بالروح خلال الأحلام، يهجر فيها جسده، وينطلق إلى السماء، أو إلى الجحيم، وبذلك يلغي بالفكر والخيال والانفعال شرط الإنسان الراهن، ويستعيد شرط الإنسان الأولي الذي كان في الفردوس. (36)

ولذا كان للشامان حظوة – وما زالت - ملحوظة. يُخشى منهم لأنهم - فيما يُعرَف - قادرون على تسليط المرض والموت.(37)

والعجيب كيف يكون الإله تعيسًا؟! وكيف تستطيع الشياطين إفساد أعمال الإله؟!

***

التنبؤ عند الشامان:



يصبح المرء شامانا إما بإلهام عفوي (دعوة واختيار)، أو بالانتقال الوراثي للصنعة الشامانية، أو بقرار شخصي، أو بإرادة القبيلة وذلك في بعض الحالات النادرة.

ومهما كان أمر التنبؤ فإن الشامان لا يعترف به شامانًا، إلا بعد تلقيه تعليمًا مزدوجًا: تعليمًا وجديًا (أحلامًا، ورؤى، وارتعاشات....).

تعليمًا تقليديًا (صياغات شمانية، وأسماء ووظيفة الأرواح، وعلم أنساب القبيلة، واللغة السرية...).

فالشامان المبتدئ يقتل من قبل الشياطين، ويرى مقطعًا أجزاء، ويشهد في الحلم تقطيع نفسه إلى قطع، والشياطين تجتث له رأسه، وتقلع عينيه....إلخ. (38)

وقد يكون هذا التعليم المزدوج «التلقي» علنيًا، أو قد يجري في الحلم، أو في التجربة الوجدية الصوفية. وتتسم هذه الفترة من الحضانة أو الإعداد بأمارات حادة، إذ يصبح الشاب غريب السلوك، عصبي المزاج،



يلجأ إلى الغابات، ويتغذى بقشور الأشجار، ويلقي نفسه في الماء والنار، ويجرح نفسه بالسكاكين، ويكون له تبصرات رؤيوية (رؤى تنبُّئية).

وإذا أخفق المرشح لمنصب الشامان في تجاوز هذه المراحل التلقينية، فإن الشياطين والأرواح الشريرة تتمكن منه، ويصبح عرضة للمشكلات الحياتية الروحية منها والجسدية.

ويوجد لدى البوريات والجولد والآلطيين والثونغور والمانشو (قبائل مغوليه) وغيرهم حفلات عامة للتلقين. وتتطلب هذه الحفلات عند البوريات، مثلًا، تثبيت شجرة سندر صلبة في خيمة، إذ تكون جذورها في الموقد ورأسها يخرج من ثقب الدخان، وتسمى هذه الشجرة «حارس الباب»؛ لأنها تفتح للشامان مدخل السماء، ويتسلق المتدرب الشجرة، وعند خروجه من ثقب الدخان يصرخ بقوة مستدعيًا الآلهة، ثم يتجه إلى مكان بعيد عن القرية، مغروس بأشجار السندر، ويضحي بتيس، فيدهن جسمه ورأسه وعينيه وأذنيه بالدم، بينما يدق الشامانيون الآخرون بالطبول،



ومن ثم يتسلق المعلم - الشامان شجرةً، ويجري في قمتها تسعة جروح، وعليه أن يتسلق تسع شجرات ترمز إلى السماوات التسع، وبحسب اعتقادهم، هذا الطقس التلقيني هو أساس اجتماعات الشامانات الألطية.

ويظهر اهتمام الشامان بالصعود إلى السماء للتكريس، ولذلك تتمتع الشجرة الشامانية باحترام كبير كالشجرة الكونية.

بعد هذا الطقس يستطيع الشامان الجديد أن يؤدي دورًا رئيسًا في الحياة الدينية والاجتماعية للجماعة، لما له من قدرات على شفاء الأمراض، وطرد الشياطين والأرواح الشريرة، ومحاربة السحر الأسود، والتنبّؤ والتبصّر، والدفاع عن التكامل النفسي للجماعة. (39)

وبصورة عامة، فالشامان يدافع عن الحياة والصحة والخصب وعالم النور ضد الموت والمرض والعقم وسوء الحظ.



والسؤال الآن: هل دلالة الحلم ظنية أم قطعية؟

وجواب العقلاء أنها ظنية، وإذا كان الأمر كذلك أيعتمد على الظن في تأسيس معتقد؟!

ومن الشامان الذي يقطع نفسه الآن، وإذا فعل فإلى أين تذهب روحه؟ وإذا علم هل يستطيع أن يعيدها مرة ثانية؟ وإذا ادعى أنه يستطيع فليعرف لنا الروح وكنهها وكيف هي؟ وأين مكانها في البدن؟ وهل رآها أم لا؟

قال تعالى

{يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ } النحل 2.

وقال تعالى:

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا } الإسراء 85.

***



تحرر الروح من الجسد:

هناك إيمان واسع لدى الشامانين، بأن الروح تستطيع أن تهجر البدن، حتى إذا كان صاحبه لايزال على قيد الحياة!

ويعتقدون أن الشامان وهو في حالة الوجد تستطيع روحه أو روحها إن كانت أنثى، أن تهجر البدن بأمان، وتهيم في مناطق نائية، ثم ترتفع إلى السماء، أو تنفذ إلى أعماق العالم السفلى.

ويتم الصعود إلى السماء بعدة طقوس متقنه تشتمل على تسلق سلم أو عمود. (40)

إن اللّه سُبْحَانَهُ وَتعالى قد وصف الروح بِالدُّخولِ وَالْخُرُوج وَالْقَبْض والتوفي وَالرُّجُوع وصعودها إلى السَّمَاء وَفتح أَبْوَابهَا لَهَا وغلقها عَنْهَا فَقَالَ تعالى:

{وَلَو ترى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَات الْمَوْت وَالْمَلَائِكَة باسطوا أَيْديهم أخرجُوا أنفسكُم}



وَقَالَ تعالى:

{يَا أيتها النَّفس المطمئنة ارجعي إلى رَبك راضية مرضية فادخلي فِي عبَادي وادخلي جنتي} وَهَذَا يُقَال لَهَا عِنْد الْمُفَارقَة للجسد.

وَقَالَ تعالى:

{وَنَفس وَمَا سواهَا فألهمها فجورها وتقواها}

فَأخْبر أنه سوى النَّفس كَمَا أخبر أَنه سوى الْبدن فِي قَوْله:

{الَّذِي خلقك فسواك فعدلك}.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ سوى نفس الْإنْسَان كَمَا سوى بدنه بل سوى بدنه كالقالب لنَفسِهِ فتسوية الْبدن تَابع لتسوية النَّفس وَالْبدن مَوْضُوع لَهَا كالقالب لما هُوَ مَوْضُوع لَهُ. (41)

ولكن أن يقال إن الروح تفارق البدن ولا يموت البدن هذا لا يقبله عقل، لأن الروح هي مادة حياة البدن.



ولا يملك الأرواح إلا رب الأرواح، إذ الروح سر مكنون، من أسرار رب الكون.

قال تعالى:

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا} الإسراء 85.

***

الأضحية والقرابين:

يُحتفل بالأضحية من وقت لآخر من قبل كل عائلة، وتستمر الحفلة سهرتين أو ثلاث سهرات متتالية، حيث يقيم الشامان في المرج خيمه جديدة، ويضع في داخلها شجرة سندر، مجردة من أغصانها، ومحززة بتسعة حزوز، ويعد عدد من الشعائر الأولية، ويبارك فيها الأضحية التي تكون عبارة عن حصان، وبمساعدة بعض الحضور يقتله، وذلك بأن يكسر عموده الفقري، بطريقة تجعله لا تسيل فيها قطرة دم، وبعد إجراء



تقدمات للأجداد والأرواح الواقية، يحضر اللحم ويؤكل احتفاليًا.

والجزء الثاني من الطقس والأكثر أهمية يجرى في المساء التالي، حيث يرتدي الشامان ثيابه الشامانية، ويستدعي عددًا من الأرواح، ويضرب على الطبل، ويشير بحركات أنه يصعد إلى السماء عبر حزوز الشجرة، وحينما يبلغ القمة يدعو بهذا الدعاء:

أنت، أولغان، خلقت كل البشر....

أنت، أولغان، وهبتنا جميعًا القطعان

لا تدعنا نسقط في الألم

اجعلنا نستطيع مقاومة الأشرار،

لا تُرنا، أبدًا كوموس (الروح الشريرة) لا تسلمنا إلى يديه.

لا تعاقب ذنوبي...)

ويتلقى الشامان من أولغان، فيما إذا كانت الأضحية مقبولة، كما يتلقى تنبؤات عن الوقت، وعن المحصول الجديد.

وبعد هذا المشهد يتدحرج الشامان مجهدًا، وبعد بعض الوقت يفرك عينيه، ويبدو متيقظًا من نوم عميق، ويحيى الأشخاص الحاضرين، كما لو كان بعد طول غياب.(42)

ومن العجيب أن هذه القرابين لا تُقبل إلا بواسطة شامان العشيرة أو القبيلة.

قال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللَّهِ زُلْفي إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} الزمر3.

ثم ترى هذه القسوة في قتل الأضحية عن طريق كسر عموده الفقري.



عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللّٰهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»(43).



الخلاصة

أن الشامانية ظاهره من الظواهر الدينية، أو بتعبير أدق معتقد من المعتقدات البدائية التي ظهرت قديم بعدة أشكال حول العالم، وقد يكون موطن الشامانية بشكلها النقي سيبيريا وآسيا الوسطى، بالإضافة إلى السكان الأصليين للأمريكيتين والذين يبدون من أصول وسط آسيوية. وما زال لها بعض الأثر حت الآن؛ وذلك في تعلم فنون السحر والتطبيب الروحي.

والشامانيون هم سحرة دينيون يدعون أن لديهم قوة خارقة تمكنهم من إنجاز بعض المهام التي تصعب على غيرهم، ويستطيعون إنجاز بعض الأمور عن طريق جلسات تحضير الأرواح التي فيها تغادر أرواحهم أجسامهم إلى عوالم الروح أو تحت الأرض حتى تستمر بمعالجة المهمات.

والغرض الرئيسي للشامان في أي مكان هو التطبيب والمعالجة. والشامان الناجح يستطيع أن يسيطر على



الأرواح (الشياطين) التي يعمل معها، ويستطيع (كما يدعي) التواصل مع الموتى.

يتدرب الشامان أحيانًا بواسطة "سيد الشامانات" والذي يكون أكثر خبرة منه في هذا المجال (الشامانية).

ويجب على الشامان معرفة كيفية السيطرة واستخدام بعض الأمور الشخصية الطقوسية، مثل قرع الطبول أو العربة التي يقودها للسفر، كما يجب عليه حفظ تلك الأشكال والأغاني الطقوسية المهمة بالنسبة إليه.

والشامان رجل ساحر يتلقى السحر إما بالتعلم،أو بالتقرب إلى الشياطين بأعمال شاقه وتأباها العقول السوية.

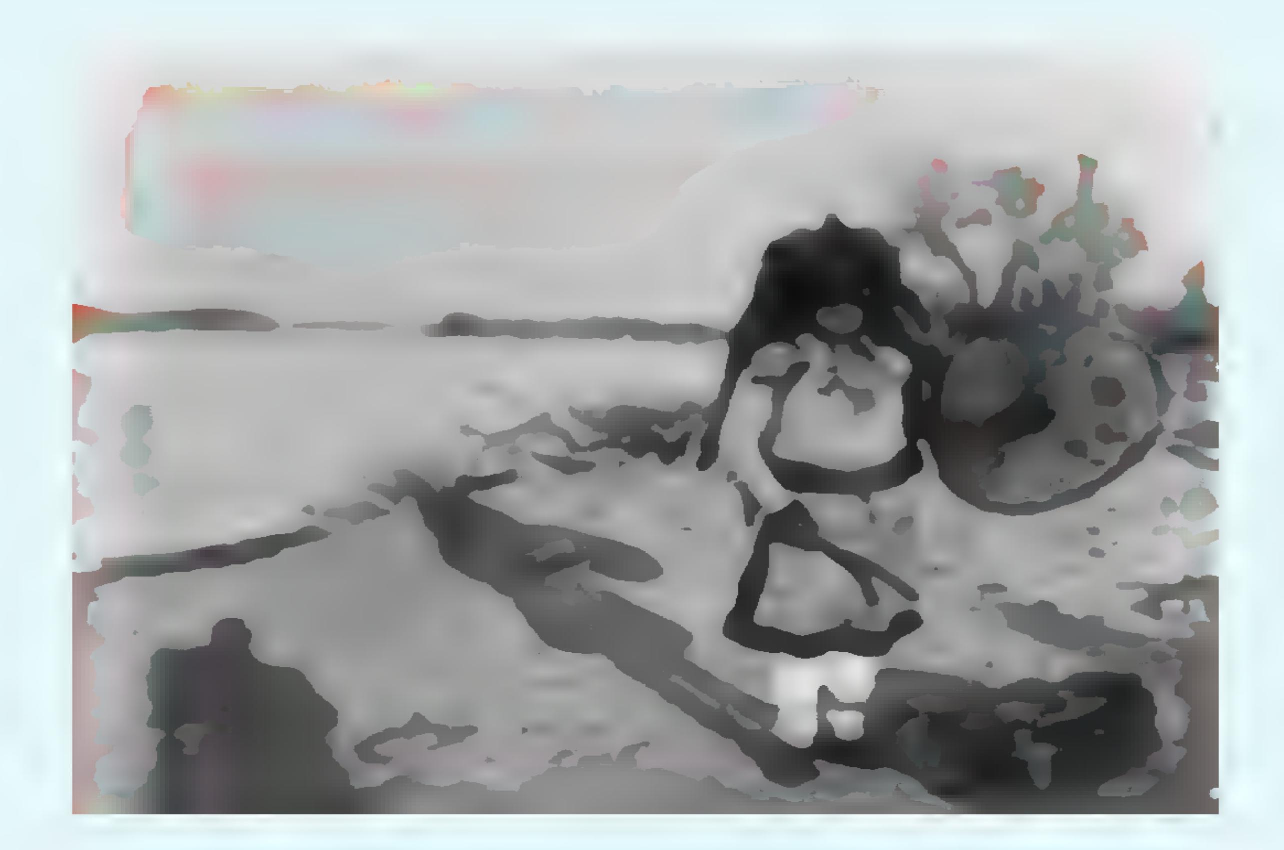
وتقوم الشامانية عموما على تقنية الوجد أو الغيبوبة التي تحصل له عن طريق تناول العقارات المحدثة للهلوسة، وفي أغلب الأحيان يكون الشامان مدعيًا في حالة الوجد التي يكون فيها.



وأرى أن الشامانية ما هي الا هيستريا شعوب عاشت في الماضي، قادهم عقلهم إلى التخبط فعلمهم الشيطان كيف يكون التخبط في الظلم.

والغريب أنه ما زالت هذه الثقافة موجودة إلى الآن عند بعض الشعوب.

***





الخشخشية (الطبول المستخدمة في الطقوس الشامانية)





طقوس مطاردة الأرواح الشريرة

الزي الشاماني





هوامش

(1) الْوَجْدُ هُوَ مَا يُصَادِفُ الْقَلْبَ، وَيَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ وَارِدَاتِ الْمَحَبَّةِ وَالشَّوْقِ، وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَتَوَابِعِ ذَلِكَ. (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ج3، ص 68.

(2) موسوعة تاريخ الأديان، فراس السواح. الناشر: دار علاء الدين. ص 141. بتصرف.

(3) وأقصد بالتصوف المتطرف: أمر زائد على الزهد المشروع المحب إليه، وذلك بالمبالغة في التجوع والتعري وترك الحلال، ويفرط في التقشف والتعنت وتعذيب النفس وتكليفها ما لا يطاق، وجلب الأذى، والتجاوز في أوامر الله ونواهيه. (دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: 1407هـ). الناشر: دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م. ص 20.

(4) الشامانية عند هنود الشاكو الأكبر. تأليف ألفرد ميترو. ترجمة / محمد أسليم، مطبعة سندى المغرب 1998م.ص1.

(5) نفسه ص2.

(6) صَحِيح الْجَامِع: (5571).

(7) صحيح البخاري (1292)، صحيح مسلم (2658).

(8) فتح الباري لابن حجر ج 4، ص 465.

(9) موسوعة تاريخ الأديان ص 142.

(10) الشامانية عند هنود الشاكو الأكبر ص1.

(11) موسوعة تاريخ الأديان ص143.

(12) الشامانية عند هنود الشاكو الأكبر ص 3.

(13) نفسه ص 4.



(14) نفسه ص 5.

(15) الغصن الذهبي ص 205.

(16) الأذكياء، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ-).الناشر: مكتبة الغزالي. ص 14.

(17) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ-).الناشر المكتبة التوفيقية. ص 437.

(18) موسوعة تاريخ الأديان ص 155، 156. بتصرف.

(19) الغصن الذهبي ص 126.

(20) نفسه ص156، 158 بتصرف.

(21) نفسه ص 160.

(22) نفسه ص 171، 172، 173بتصرف.

(23) الدين ص 127 بتصرف.

(24) الغصن الذهبي ص110.

(25) موسوعة تاريخ الأديان ص 165، 166،167. بتصرف.

(26) موسوعة تاريخ الأديان ص 179،180 بتصرف.

(27) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ-)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. ص 266.

(28) خشخشَ يُخشخش، خَشْخشةً، فهو مخشخِش، والمفعول مخشخَش (للمتعدِّي)، خشخش السِّلاحُ وغيرُه: أحدث صوتًا عند تحريكه "سمعت خشخشة السِّلاح- خشخشة الرَّاديو: ما يُسمع له من أصوات



متتالية، لا رنين لها- خشخش الحَلْي". خشخش المفاتيحَ وغيرَها: حرَّكها فصوَّتت "خشخش النقودَ". تخشخشَ يتخشخش، تَخَشْخُشًا، فهو مُتَخَشْخِش، تخشْخش الشَّيءُ: خشخش، صوَّت "تخشخش ورقُ الشّجر اليابس تحت الأقدام". (معجم اللغة العربية المعاصرة. المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل. الناشر: عالم الكتب. الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م. ص644، 645).

(29) موسوعة تاريخ الأديان ص180.

(30) اليغور: نمر أمريكي استوائي (معجم المعاني الإلكتروني.

(31) موسوعة تاريخ الأديان ص 182.

(32) الهلوسة: بمفهومها العام هي الإحساس بمحسوس غير موجود، وبمعنى أدق، يمكن تعريف الهلوسة بأنها الإحساس في حالة اليقظة، والوعي



بمحسوس غير موجود يتميز بخواص المحسوسات الموجودة. (موسوعة ويكيبيديا).

(33) موسوعة تاريخ الأديان ص 185 بتصرف.

(34) تاريخ الترك في أسيا الوسطى، و. بارتولد. ترجمة أحمد سليمان. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996م.ص 28.

(35) التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة، أحمد السعيد، الناشر: دار المعرفة القاهرة ص12.، 29 بتصرف.

(36) تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية. تأليف / ميرسيا إلياد. ترجمة / عبد الهادي عباس. الناشر دار دمشق. الطبعة الأولى 1986 - 1987 م. ج 3. ص 16: 21 بتصرف.

(37) الشامانية عند هنود الشاكو الأكبر ص7.



(38) تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية ج3 ص 16، 19. بتصرف.

(39) الشامانية عند هنود الشاكو الأكبر ص 4.

(40) المعتقدات الدينية لدى الشعوب. تأليف / جفري بارندر. ترجمة / إمام عبد الفتاح. الطبعة الثانية 1996م. الناشر مكتبة مدبولي. ص 29.

(41) الروح ص38.

(42) تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ج3. ص22، 23 بتصرف يسير.

(43) صحيح. مسلم. كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ، رقم (1955).

***



القبالاه

تعريف القبالاه (קַבָּלָה) (التصوف اليهودى):

القبالاه: مجموعة من التفسيرات، والتأويلات الباطنية الصوفية لنصوص العهد القديم عند اليهود، والاسم مشتق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر والقبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف وقد أطلق العارفون بأسرار القبالاه على أنفسهم لقب العارفين بالفيض الرباني(1).

وهم الذين يشتغلون بالعلوم الباطنية محاولة منهم للالتصاق بالإله، ولأجل معرفة أسرار الكون للسيطرة على الإله والتحكم في الكائنات.

وقد وجدت التعاليم القبالية رواجًا في الأوساط اليهودية لأن لها تفسيرات بسيطة للشعائر والأوامر والنواهي، وقريبة من أفهام العامة، ولاحتوائها على الأساطير والخرافات التي أشبعت الظمأ الروحي عند اليهود.



كان هؤلاء المتصوفة (القباليون) يهدفون إلى تجديد تقاليد النبوة، وإلى الكشف الإلهي من خلال الشطحات الصوفية ومن خلال التأمل في حروف الكتاب المقدس وقيمها العددية، وأسماء الإله المقدسة، ومن أهم القبالين أبراهام بن شموئيل أبو العافية " 1240 م- 1291 م (2).

يزعم أتباع القبالاه أن عددهم 22000.000 مليون كما أن ليس كل القبالاه من اليهود ولكنهم يقدمون الدعم المطلوب لليهود (3).

كما ترتبط القبالاه بعدد من العلوم السحرية مثل التنجيم، والسيمياء، والفراسة، وقراءة الكف، وعمل الأحجبة، وتحضير الأرواح (4).

***

الأدوار التي مر بها التصوف اليهودي (القبالاه):

1- بدأ التصوف يظهر في الفكر اليهودي في النصف الأخير من القرن الثاني الميلادي، وكان التصوف في



هذه الفترة مقصورًا على شرح أسرار المركبة الإلهية التي جاء ذكرها في سفر حزقيال، وتفسير سفر التكوين.

مما يدل على أن جذور التصوف اليهودي ترجع إلى التوراة תּוֹרָה والتلمود הַתַּלְמוּד، فالعهد القديم תנ"ך فيه مادة غزيرة اعتمدت عليها الأفكار القبالية مثل: قصة الخليقة في سفر التكوين בְּרֵאשִׁית وأوصاف المركبة السماوية في حزقيال والرؤيا الكشفية النبوية في دانيال.

والتلمود הַתַּלְמוּד مليء بالتأملات الصوفية حول مسألة عمل الخلق والمركبة الإلهية.

كان التصوف في هذه الفترة له طابع منعزل ومنغلق على نفسه وكان المتصوفة يمارسون بعض الطقوس من أجل الطهارة، والجلوس في وضع معين،وترتيل صلوات وأدعية تساعد المتصوفة على السفر خلال الكواكب السبعة التي يحرس كلًا منها ملاك خاص يمنع الخطاة من المرور (5).



يظهر ارتباط التلمود بالقبالاه من خلال دراسة تاريخ التصوف اليهودي، فقد تشكلت حلقات من أتباع يوحنا بن زكاي، وهو من معلمي المنشاه " تنائيم " ومن مؤسسي حلقة يفنه التلمودية في القرنين الأول والثاني، حاولت هذه الحلقات أن تغوص في أسرار الخلق أو ما يسمى عمل الخليقة وفي طبيعة العرش الإلهي "أو المركبة".

وقد ساهمت كتاباتهم في وضع أسس أدب الهيخالوت الصوفي، أو الحجرات السماوية الذي ازدهر في بابل ببيزنطة في القرنين السابع والثامن، والذي يصور سبعة قصور أو عوالم سماوية تسكنها الملائكة التي تسبح بحمد الإله.

ويوجد عرش الإله حسبما جاء في قصص هذا الأدب في العالم السابع، أي في السماء السابعة.

ويعتقد أتباع هذه المدرسة أنه من خلال التدريبات الروحية الصارمة، ومن خلال الصوم وإرهاق الجسد يمكن الوصول إلى الشطحات الصوفية التي تمكن



الواصلين " أو مشاهدي المركبة " من أن يشعروا بروحهم وهي تصعد من خلال هذه السماوات حتى تصل إلى النقطة التي يطالعون فيها، وبشكل مباشر، التجلي أو الحضور الإلهي والعرش الإلهي.

وبإمكان الأرواح التي تصل إلى هذه المنزلة أن تكشف أسرار الخلق وطرق الملائكة، وموعد وصول المخلص " الماشيح " המשיח(6).

***

2- في القرن الثاني عشر الميلادي كان الظهور الأول للقبالاه في فرنسا، وكان إبراهام بن داود وابنه إسحاق الأعمى من أهم العارفين بها، وبدأ يتداولان كتاب الباهير סֵפֶר הַבָּהִיר الذي يعد من أقدم النصوص القبالية، وهو مجهول المؤلف ويحتوي الكتاب على أول محاولة لشرح النظرية القبالية الحلولية في الفيض الإلهي، وفكرة تناسخ الأرواح، كما يحاول الكتاب وضع أسس التفسير الصوفي لحروف الأبجدية العبرية.



انتقل بعد ذلك إلى إسبانيا حيث نشأت حلقات متصوفة تحاول أن تتواصل مع الإله من خلال التأمل في التجليات النورانية العشرة סְפִירוֹת "سيفروت" أي تجليات الإشاعات الصادرة من النور الذاتي للإله، وهي التي أوجدت العالم، وهي الواسطة وحلقة الوصل بين الإله والكون (7).

وأعضاء هذه الحلقات من الزهاد الذين يبتعدون عن كل الملاذ الجسمية، ويسعون إلى الاتصال الروحي بالله عن طريق التأمل في حروف الكتاب المقدس وقيمها العددية وأسماء الآلهة المقدسة، والصلاة، ويسعون من خلال تأملاتهم وصلواتهم إلى تجديد تقاليد النبوة، وإلى الكشف الإلهي من الشطحات الصوفية - علم الغيب والسحر- للالتصاق بالإله والسيطرة عليه.

وصلت القبالاه إلى قمتها بظهور كتاب الزوهار הַזּוֹהַר الذي يعتبر أهم كتب التراث القبالي، وهو يحتوي على مجموعة من الأفكار المتناقضة والمتوازية عن الإله، وقوى الشر والكون، وفيه صور مجازية ومواقف



جنسية صارخة تجعله شبيهًا بالكتب الإباحية وهو ما ساهم في انتشاره وشعبيته (8).

يحتوي الجزء الأخير من كتاب الزوهار على التعبير عن رؤية الخلاص المتمثل في رؤية رمزية لشجرة الحياة وشجرة المعرفة الواردتين في سفر التكوين في العهد القديم، فشجرة الحياة عند القبالين شجرة مقدسة لا يختلط بها شر، وهي التي تحكم العالم في بداية تكوينه إلا أنها فقدت أهميتها بخطيئة آدم.

أما شجرة المعرفة فتحتوي على الخير والشر، وهي التي يستمد منها الموت مقوماته، وهي التي تولت حكم العالم المادي (9).

وتسمى القبالاة النابعة من الزوهار قبالاة الزوهار أو القبالاة النبوية لإضفاء القداسة عليها؛ ازداد الاهتمام بالقبالاة بعد طرد اليهود من إسبانيا، وتصاعد الحمى المشحانية، وخصوصًا بما اشتملت عليه القبالاه من عقيدة خلاص جماعة بني إسرائيل.



في 1421 م قام القباليون بإنشاء مركز لهم في مدينة صفد فلسطين، وكان يضم مجموعة من اليهود السفارد الذين طردوا من إسبانيا، ومن هنا كان عمق إحساسهم

بالكارثة هو الدافع لهم للتعمق في الأسرار القبالية ليعجلوا بظهور المسيح المخلص، ويعملون على السيطرة على الكون من خلال الالتصاق بالإله.

من أهم أعضاء هذه المجموعة إسحاق لوريا " 1534 م- 1572 م" الذي طور المفاهيم القبالية فيما عرف " بالقبالة اللوريانية " وهي تعني بالخلاص وبالنهاية.

أما البنية الحلولية التي تعتمد عليها القبالاه اللوريانية فلا تختلف في جوهرها عن قبالاة الزوهار، فهما يتبعان نهجًا وحدًا إلا أن هناك بعض الاختلافات التي يمكن استخلاصها في أن القبالاه اللوريانية تعتمد على ربط بداية الخلق بالنهاية، والتأمل بالنزعة المشيحانية، والباطن بالتاريخ.



وترى القبالاه اللوريانية أن عملية الخلق تبدأ بانكماش الإله داخل نفسه، فيتخلق فراغًا روحيًا كاملًا وهو ما عبروا عنه بأنه شكل من أشكال النفي، وكان قبل هذا الانكماش جزء من كل " ثم أرسل الإله في الفراغ شعاعًا من نوره الذاتي، وهي مرحلة الفيض الإلهي التي أدت إلى ظهور آدم قدمون الإنسان الأصلي، وهو غير آدم النبي ثم تخرج أشعة النور الإلهي من عيني هذا الإنسان وأذنيه وأنفه وفمه لتأخذ شكل شرارات جمعت في أوعية من أنوار الإله، لكنها تحطمت في أثناء ملئها بسبب قوة النور الإلهي فتشتت هذه الشرارات، وسادت الفوضى وانتشر النور والظلام، والروحاني والمادي، ودخل الظلام والشر العالم، وعادت كثير من الشرارات إلى مصدرها إلا أنه بقيت "288" شرارة التصقت بالأوعية المهشمة، وهذه الأجزاء قوى الشر، ولذا لم يعد شيء في الكون كاملًا بسبب تحطم الأوعية التي صنعها الله.

وحسب الرؤية اللوريانية فإن عملية جمع الشرارات المبعثرة كانت على وشك الاكتمال عند خلق الإله أدم"



عليه السلام " لكن خطيئته أوقفت هذه العملية فكان آدم يحوي كل أرواح البشر الملتصقة بالإله، ولكن بمعصيته انفصلت الأرواح عن جذورها فدخلت الأجسام المادية فأصبحت كل المخلوقات في حالة شتات وانحراف وجاء الموت والشر والعالم وسيظل الإله مجزأ.

ولإصلاح هذا الخلل في النظرية اللوريانية فإنه لا بد من مشاركة الإنسان اليهودي في عملية تاريخية باطنية شاملة، عن طريق تلاوة الصلوات، لأنه هو فقط القادر على الإسراع بعملية الإصلاح، ويطلقون على هذه المرحلة "تيقون" بمعنى ولادة الإله، أما الإنسان الذي يمثل العالم السفلي فهو قادر من خلال أفعاله على التأثير في العالم العلوي، وتلك هي المرحلة التي سيظهر فيها الماشيح ليحكم العالم وتسود جماعة إسرائيل.

ويعتقدون أن الشعب اليهودي هو تلك الشرارات الإلهية المبعثرة، وهو الأداة التي يسترد بها الإله ذاته، واليهودي في فكرهم هو مركز الكون، وهو سبب النفي



بذنوبه، وهو أيضًا الوسيلة لإصلاح الخلل الكوني (10).

وحتى تتم مرحلة الإصلاح والخلاص فعلى اليهودي إصلاح روحه وروح من حوله (11)؛ وقد ساهم المارانو (12) في نشر القبالاه اللوريانية التي تجعل من اليهودي عماد الخلاص في العالم، والتي ربطت بين القبالاه والنزعة المشيحانية، والتي تعوض اليهودي عن عدم مشاركته في السلطة السياسية، بجعله شريكًا مع الخالق في خلق العالم، بل في تحقيق الرب لذاته ولوجوده (13) ومع شدة شبقهم لظهور الماشيح المخلص، واجتهادهم في الصلوات لتعجيل ظهوره ظهر كثير من المسحاء الكذابين، الذين حاولوا السيطرة على العقلية اليهودية ولكن محاولتهم باءت بالفشل، ومن أشهر هؤلاء المسحاء شبتاي تسفي (14)، وجوزيف فرانك (15)، اللذان كانا يعدان منفسين روحيين لكثير من اليهود في القرن الثامن عشر خصوصًا بعد سيطرة الحاخامات الذين كانوا يتدارسون التلمود دراسة عقلية لا تلبي متطلبات



العقلية اليهودية الوجدانية أضف إلى ذلك الاضطرابات السياسية والأزمات الاقتصادية التي أحاطت بهم، والتي كان لها أكبر الأثر في إفراز هذه الأفكار الأسطورية.

***

3- الحسيدية بالعبرية " حسيدوت ":

عانى اليهود في منتصف القرن الثامن عشر بؤسًا وفقرًا، نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمر بمجتمعات شرق أوربا، وبينما كان اليهود يرزحون تحت نيران الاستغلال الاقتصادي من جانب النبلاء البولنديين، كان الحاخامات مجرد موظفين لهم رواتب، مما ساعد على زيادة العزلة اليهودية، والإيمان بالخرافات والأوهام.

جاءت القيادة الحسيدية من بين الطبقات الفقيرة، من فقراء الوعاظ والمنشدين والمدرسين والذابحين الشرعيين، وكان مؤسس الحسيدية نفسه " بعل شيم "



مدرسًا وذابحًا شرعيًا وخادمًا للمعبد مما ساعد على سرعة الإجابة الجماهيرية للحسيدية(16).

يشتق مصطلح الحسيدية من الكلمة العبرية "حسيد" أي "تقي" ويستخدم المصطلح للإشارة إلى عدة فرق دينية في العصور القديمة والوسطي، ولكنه يُستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية الحلولية التي أسسها وتزعمها بعل شيم طوف.

بدأت الحركة في جنوب بولندا وقرى أوكرانيا في القرن الثامن عشر، وخصوصًا في مقاطعة بوروليا التي ظهرت فيها الحركة الفرانكية، وقد كانت هذه المقاطعة تابعة لتركيا في نهاية القرن السابع عشر، وانتشرت الحسيدية منها إلى وسط بولندا وليتوانيا وروسيا البيضاء ثم المناطق الشرقية من الإمبراطورية النمساوية والمجرية ورومانيا، ولكن أقصى تركيز لها كان في الأراضي البولندية التي ضمتها روسيا إليها (17).



ومؤسس الحسيدية " بعل شيم طوف " ويعنى سيد الاسم "اسم الرب "وهو لقب يطلق على من يعالجون الناس من الأمراض الجسدية والنفسية، وهم مجموعة من الدراويش اشتهروا بتملك ناصية الاسم، ومن ثم بمقدورهم الإتيان بالمعجزات، ولقب بعل شيم يعني ساحرًا، أو معلم القبالاه العملية، وكان أحد المتطببين المهرة، فلقبه مرضاه "بطوب" وتنطق طوفأي الطبيب فأصبح لقبه الكامل "بعل شيم طوب" أما اسمه الحقيقي "إسرائيل بن اليعازر" ومن أشهر علاجات " بعل شيم " تعويذة أو رقية خاصة تكتب على رق تحتوي أسماء الملائكة وتستخدم لطرد الأرواح الشريرة من الإنسان، وقد عرفت هذه التعويذة بانتشار واسع بين اليهود لا سيما النساء الحوامل منهم والأطفال.

كان "بعل شيم" قبل انتشار أمره كونه طبيبًا محبًّا للعزلة والنسك، فقضى فترة سبع سنوات من حياته معتكفًا في الجبال والغابات يصوم ويصلي ويتعبد، في

هذه الفترة عرف العديد من اختبارات الكشف والوجد كما درس الزوهار.

ظل شطر من حياته طوافًا بالبلاد كطبيب وواعظ حتى اشتهر اسمه بين اليهود وغير اليهود كما نسبت إليه الكرامات مما جعل بعض الناس يتوافدون إليه لا للعلاج فقط، بل من أجل حل مشكلاتهم المستعصية والتنبؤ لهم بالمستقبل كذلك.

وكان الذين يفدون إليه يعودون إلى أهلهم ويحدثونهم عما تعلموه من "بعل شيم" من تعاليم جديدة، فيها نقد لبعض جوانب الحياة الدينية، وجمود الشريعة، وفقدان الجانب الروحي فيها.

كما يروى عنه معاريج ورؤى روحية، ومما قاله عن معراجه الأول "شعرت بتسامٍ روحي وصعودها، ورأيت أشياء عجيبة ورائعة لم أرَ مثلها في كل حياتي، ولا يمكن للكلمات أن تعبر بشكل صحيح عما رأيت وتعلمت حتى لو قلتها لك وجهًا لوجه"، وهو يشير إلى مشاهدة العالم العلوي الغيبي.



كانت الجماعات اليهودية في أوربا الشرقية موطن "بعل شيم" تشهد عصر انحطاط وجمود وتفكك، فناد "بعل شيم" بالتزام طرق التدريس القديمة، وركز على دور القلب في تطور الإنسان، وقال هذه الطرق "طرق التدريس" لا توفر حياة روحية لليهود، ولا شيء فيها يربط بالشعور والعاطفة اللذين يحتاجهما الإنسان وكان شعاره الله ينادي القلب.

فالله في تعاليم "بعل شيم" لا يُعرف بالعقل بل يُعرف بالقلب، ويقول تأكيدًا على دور القلب: "إن اليهودي الذي يقبل لفائف التوراة المقدسة يفرح الله أكثر من الملائكة الذين يسبحونه ولا يفعلون سوى ذلك".

والتطور الروحي عند "بعل شيم" يتم في حياة من الفرح والسعادة، لا في أجواء الكآبة والأسى، لأن الحزن والندم يبعدان عن الينبوع الإلهي، فالعبادة الحقة تعبير عن الفرح، فإذا ما أراد الإنسان أن تكون صلاته مثمرة، فلا بد يؤديها بفرح وسرور (18).



"فبعل شيم" لم يخلق مجتمعًا جديدًا، إنما عمل على رسم إطار هرمي روحاني يرتقي من خلاله الحسيدين.

أكدت الحسيدية أن الخلاص يبدأ بالسلوك اليومي للإنسان الذي يسبق الخلاص الإعجازي، وأصبحت الهجرة إلى فلسطين تجسد العلاقة بين خلاص الفرد وخلاص الشعب، وأن انتشار الحسيدية هو الذي سيعجل بمجيء الماشيح، وأن بإمكان زعماء الحسيدية الصديقين التعجل بالخلاص (19).

والزعيم الحسيدي "الصديق" له مكانة على المستويين الروحي والمادي، فالزعيم الحسيدي "الصديق" له رسالة روحانية لأبناء طائفته، وهذا من أجل الرب ورسالة اجتماعية تنظيمية لأبناء طائفته وتلاميذه، فالصديق أو الزعيم الحسيدي هو الشخص الذي يتمتع بخصال روحانية خاصة تؤهله بأن يقوم بدور الرسول أو الوسيط بين العوالم العليا والعوالم السفلي "الخالق والمخلوقات" وتكمن قوته في إيمانه الهائل ودروشته الصوفية التي لا يعلوه فيها أحد، وقوة الصديق هي قوة هائلة بإمكانه أن يؤثر في العوالم العليا بفضل



صلاته ويستطيع أن يلغي الأحكام الإلهية والخليقة كلها خُلقت من أجل "الصديق" وتحل عليه الروح القدس في المنفي، ومكانة الصديق تفوق مكانة الملائكة (20).

من عقائد الحسيديين أن الملائكة تخلق من كلام الصديق "الزعيم الحسيدي" ومن صلاته، والحسيديون ينكرون حقيقة الشر ويفسرونه بأنه الطريق الموصل للخير، وأن الشر يمكن تعديله وتغييره إلى خير محض، وأن الذنب مجمل في داخله جذور التوبة، وبدون وجود الأشرار لا تعرف حقيقة الأخيار (21).

والحسيديون يقولون بالتناسخ، ويعتقدون أن الغرض من تناسخ الأرواح تطهير النفس وإعطاؤها الفرص للصلاح، فإذا لم تصلح تتناسخ في جسد آخر لأكثر من مرة حتى تصل إلى الصلاح. ويعتقدون أن الإنسان لا بد أن يتطهر قبل دخوله الجنة وذلك بأن تهزه الملائكة بعد الموت حتى تذهب سيئاته النفسية والجسدية، وتتقاذفه الملائكة بين أيديها حتى يتطهر من سيئاته



صلاته ويستطيع أن يلغي الأحكام الإلهية والخليقة كلها خُلقت من أجل "الصديق" وتحل عليه الروح القدس في المنفي، ومكانة الصديق تفوق مكانة الملائكة (20).

من عقائد الحسيديين أن الملائكة تخلق من كلام الصديق "الزعيم الحسيدي" ومن صلاته، والحسيديون ينكرون حقيقة الشر ويفسرونه بأنه الطريق الموصل للخير، وأن الشر يمكن تعديله وتغييره إلى خير محض، وأن الذنب مجمل في داخله جذور التوبة، وبدون وجود الأشرار لا تعرف حقيقة الأخيار (21).

والحسيديون يقولون بالتناسخ، ويعتقدون أن الغرض من تناسخ الأرواح تطهير النفس وإعطاؤها الفرص للصلاح، فإذا لم تصلح تتناسخ في جسد آخر لأكثر من مرة حتى تصل إلى الصلاح. ويعتقدون أن الإنسان لا بد أن يتطهر قبل دخوله الجنة وذلك بأن تهزه الملائكة بعد الموت حتى تذهب سيئاته النفسية والجسدية، وتتقاذفه الملائكة بين أيديها حتى يتطهر من سيئاته

النفسية المتعلقة بالأفكار والكلام، وعندهم أن اليهودي لا يقضي في جهنم أكثر من اثني عشر شهرًا (22).

والحسيديون من أكثر اليهود حماسة لمجيء الماشيح المخلص المنتظر لأن مجيئه فيه حل لكل مشاكل اليهود ومجيئه لا يتحقق إلا بالخلاص الروحي، لذا فالحياة الفاضلة عند الحسيديين هي التي تهدف لمعرفة اللّٰه تعالى بأسمائه وصفاته، والتواصل به بالذكر الذي تذوب فيه ذات المريد في مشاهدة الحق بتعلق القلب به واستيلائه عليه.

والحسيديون يعتقدون بوحدة الوجود، فعلى الحسيدي أن يشتهي كل شيء بما في ذلك المرأة والطعام والشراب؛ لأنه من خلال النشوة التي تتحقق بالجسد تتحقق للروح نشوتها الإلهية لأن اللّٰه موجود في الطعام والشرب وفي كل شيء مادي، والممارسات الجسدية عبادة لله بالجسد تهيئ للمرتبة اللاحقة وهي عبادته بالروح، والصديق أو الولي "الحسيدي" دائمًا في الحضرة الإلهية والمؤمنين عليهم أن يعملوا ليكونوا في الحضرة الإلهية وعملهم هو الذكر، وكان



شعب إسرائيل حينما كان في أرضه كان في حضرة دائمة، لأن اللّه كان في أرضه أيضًا فلما نفي الشعب نفي اللّه كذلك، واغترب اللّه والشعب، وكان على الإسرائيلي لكي يدخل في الحضرة من جديد أن يعمل لها بالذكر، ولن تعود الحضرة إلى الشعب إلا بعودة الشعب إلى أرضه وعندئذ يعود اللّه أيضًا من منفاه، ومعنى دخول الإسرائيلي في الحضرة أي حلول اللّه فيه (23)، والذكر يكون بالغناء والرقص وشرب الخمر والفرح والسرور وهذا هو هروب اليهود في الأزمات اللجوء إلى الفلسفة المشيحانية ليهربوا من وقائع التاريخ.

يوجد اليوم مجموعات من الحسيدين، كل مجموعة مستقلة عن الأخرى لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها، وهي تنظم حياة المنضمين لها، وكل جماعة حسيدية لها مجموعة سكنية خاصة بها مثل ضاحية " بعلاز " في القدس، وضحية " أبو حصيرة " في بئر السبع (24).



وإننا لنشهد اليوم عودة العالم المتحضر إلى أنماط العصور المتخلفة من سحر القبالاه، بظهور عبدة الشيطان، وطقوس السحر والشعوذة وتحضير الأرواح والجان.

كما نجد تأثير الأفكار القبالية في الأفلام العالمية التي تسمى بأفلام القوى الخارقة مثل سلسلة وقصص هاري بورتر والتي تعتمد على السحر والشعوذة، انتقالًا إلى القوى الخفية وأفلام ومسلسلات السوبر مان، والرجل العنكبوت، ومصاص الدماء، وكثيرًا من الأفلام التي تعتمد على عالم الأشباح.

وقد وضع أحبار القبالاه نصب أعينهم نشر مذهبهم بين اليهود وغيرهم من الديانات الأخرى بطرق عدة، ومن أبرزها استقطاب أهم والهدف الرئيسي الذي تسعى إليه القبالاه هو الالتصاق بالإله "ديفيقوت" من أجل معرفة سر الإله وطبيعته للتأثير فيه من أجل التحكم في الكون.



وثمة أهداف أخرى مثل "الاستيلاء على أرض فلسطين وترحيل العرب منها ليعودوا إلى حضرة الإله، والتحرر من كل القيود والتعاليم التي تفرضها الأديان على معتنقيها، ونشر القبالاه بين غير اليهود ليكونوا داعمين لليهود.

فهم يسترون الاستعمار السياسي بستار القبالاه الدينية، ليكون استعمارا مقدسًا، الهدف منه الخلاص من الشرور في العالم وسيادة جماعة إسرائيل، والسبب في زيادة أعداد المتصوفة اليهود تكشير الدنيا لهم عن أنيابها فوجدوا في العلوم الباطنية ستارًا يخفون وراءه حقائق مكائدهم، ولشقائهم وسوء حظهم يعتقدون أن الله اصطفاهم لنفسه، وأنهم شعب الله المختار.

***

مصادر القبالاه اليهودية:

(التلمود הַתַּלְמוּד– كتاب الخلق– الباهير הַבָּהִיר – الزوهار הַזֹּהַר)



يعتمد الفكر القبالي اليهودي على عدة مصادر استقى منها أفكاره، وتعاليمه، وطقوسه، هذه المصادر هي:

***

1- التلمود הַתַּלְמוּד:

من الكتب التي لها قداسة عند اليهود، ربما تفوق قداسة التوراة نفسها التلمود.

والتلمود كلمة مُشتقة من الجذر العبري " لامد " الذي يعني الدراسة والتعلم كما في عبارة " تلمود توراة " أي دراسة الشريعة (26).

فالتلمود من المصادر المهمة التي عملت على بناء الفكر الروحي في الثقافة اليهودية مكونًا لمضمونها الروحي ومنظمًا للسلوكيات اليومية، التي على اليهودي أن يتقيد بها من أول يومه إلى نهايته.

فهو عبارة عن تنظيمات سلوكية، وتأملات ميتافيزيقية في أسفار العهد القديم، وطبيعة الأبجدية



العبرية.

والتلمود ينقسم إلى جزءين هامين:

1- المشناة מִשְׁנָה وهو الأصل "المتن"

2- جمارا גְּמָרָא "شرح المشناة"

ومشناة أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، جمعها يهوذا ماناسي فيما بين 190، 200م، أي بعد قرن تقريبًا من تدمير تيطس الروماني الهيكل.

أما "جمارا" فإثنان: جمارا أورشليم "فلسطين"، وجمارا بابل.

جمارا أورشليم "فلسطين" هو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين، أو بالأخص علماء مدارس طبرية لشرح اصول المشناة، ويرجع تاريخ جمعه إلى 400م.



وجمارا بابل هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناة، دونها علماء بابل اليهود وانتهوا من جمعه سنة 500م تقريبًا.

فمشناة مع شرحه جمارا اورشليم يسمى "تلمود أورشليم"، ومشناة مع شرحه جمارا بابل يسمى "تلمود بابل" وكلاهما يطبع على حده (27).

والتلمود به كثير من التعاليم القبالية اليهودية، فنجده يتحدث عن الأرواح الشريرة، والشيطانية، ويلزم أتباعه بسلوكيات تقيهم من شرور هذه الأرواح، فالتلمود مثلًا يحرم على اليهودي أن يسير أكثر من أربعة أذرع "2م تقريبًا" عند نهوضه من النوم باكرًا حتى يصب الماء على وجهه ثلاث مرات من إبريق التطهير كإشارة لتخلص الجسد بالتمام من الأرواح الشريرة التي تتسرب إلى الجسد أثناء النوم ليلًا حسب اعتقادهم (28).

كما أن النظرة اليهودية التي تربت على ثقافة التلمود، لغير اليهود نظرة دونية، فهم يرون أن أرواح اليهود لها



مكانة عند الله، أما أرواح غيرهم فهي أرواح شيطانية.

ويوم السبت في التلمود يعرف بسبت راحة الروح، لأن الحكماء قالوا: إن الذي يحفظ السبت يكسب روح جديدة، والعبري "الإسرائيلي" الذي يحضر ثلاثة سبوت ويقيمها فإن له نصيب في البعث.

والسبت في القبالاه ينطلق من مبدأ إصلاح الكون "تيقون" ويقيم القباليون ما يسمونه shabbatkallah أي عرس السبت، ويكون في ليلة الجمعة، وذلك بتلاوة نشيد الإنشاد، وهذه العادات منتشرة في صفد (29).

والتلمود يتحدث أيضًا عن الماشيح المنتظر "المخلص" وهذا هو غاية التصوف اليهودي البحث عن الخلاص.

فنجد في نصوص التلمود:

"إن الموعد المحدد لمجيء الماشيح قد انتهى".



ويحدد التلمود أيضًا زمان ظهور الماشيح، وعلامة هذا الزمان فيقول: "إن الماشيح سيظهر بعد ظهور "اليأجوج والمأجوج"، ويؤكد التلمود على أن جميع الأجانب "غير اليهود" سوف يدخلون في الدين اليهودي عند ظهور الماشيح".

ويرى جماعة من الحاخامات الشارحين أن مملكة الماشيح ستستمر لآلاف السنين، وإن الماشيح سيموت ثم يخلفه ابنه، ثم حفيده، واستدلوا على ذلك بما جاء في سفر إشعياء "إنه لن يفشل، ولن يثبط من عزمه حتى يقيم العدل على الأرض" إشعياء 4/ 11.

ومن اعتقاداتهم الوهمية أن حياة الناس حينئذ ستطول قرونًا، والطفل "غير اليهودي" سيموت في سن المائة، وقامة الرجل ستكون مائتي ذراع، وأرض إسرائيل ستنبت الخبز، والأقمشة من أجود أنواع الصوف، وسينبت القمح في لبنان عاليًا مثل أشجار النخيل، وسيهب هواء بمشيئة الله ليجعله دقيقًا فاخرًا، وحبوب القمح ستكون مثل كُلى الثيران الضخمة (30).



والتلمود أيضًا يتحدث عن تناسخ الأرواح حيث يعتقد التلمود أن اليهود الذين يرتدون عن دينهم، ويقتلهم يهوديًا آخر لا يدخلون الجنة، وإنما تدخل أرواحهم في الحيوانات، والنباتات ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذابًا أليمًا مدة اثني عشر شهرًا، ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات، ثم في الوثنين، حتى ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها (31).

ويتحدث التلمود كثيرًا عن السحر والعرافة، وبه مادة غزيرة عن السحر وتعاليمه فنجده مثلًا يتحدث عن عيد الهانوك chankiah وهو عيد يشمل تذكار لإنقاذ شعب إسرائيل من الهلاك.

فيقول: فيه يلعب الأطفال بلعبة لها أربع زوايا، وعلى كل زاوية مكتوب معجزة حصلت لأسلافنا.

والقبالاه تعطي هذه اللعبة مدلولًا رمزيًا، حيث ترمز الحروف الأربع "الزوايا" على الإمبراطوريات الأربع التي حاولت تحطيم الشعب اليهودي، وهم بابل وفارس واليونان وروما (32).

***

2- كتاب الخلق: "سفريتسيرا":

من أوائل الكتب التي شكلت الفلسفة القبالية وذلك في الفترة ما بين القرن الثالث والسادس الميلادي كتاب الخلق.

وكتاب الخلق هو أساس الفكر القبالي، وهو يهتم بكيفية إحداث الأثر الإلهي على "الصديقين"، بمساعدة النجوم، والكواكب، وإشارات حروف الأبجدية العبرية (33).

ويتضمن الكتاب أيضًا أفكارًا عن أسرار الخلق والكون، والعوالم السماوية التي تسكنها الملائكة، وعرش الإله الذي يوجد في العالم السابع، معتقدين أن أرواحهم تستطيع أن تصعد وتطالع العرش الإلهي، والملائكة (34).

فكتاب الخلق يعد من أقدم الكتب التي قدمت الفكر القبالي، وساهمت في تشكيل العقلية اليهودية،



وتحدثت عن الأفكار الصوفية اليهودية.

***

3- الباهير הַבָּהִיר:

كلمة عبرية معناها "الساطع" أو المشرق، وهي اسم لكتاب مجهول المؤلف وهو يعد أقدم النصوص القبالية.

كان هذا الكتاب معروفًا في جنوب فرنسا في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وإن كان تاريخ تأليفه لا يزال مجهولًا، ثم انتقل إلى إسبانيا في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر، ثم انتقل بعد ذلك إلى إيطاليا.

يحتوي الكتاب على أول محاولة لشرح النظرية القبالية الحلولية في الفيض الإلهي، وفكرة تناسخ الأرواح، كما يحاول وضع أسس التفسير الصوفي لحروف الأبجدية العبرية، وكتاب الباهير يميل إلى القصص الأسطوري، وقد كتب الباهير بخليط من العبرية والآرمية، بأسلوب غامض، وبناء الكتاب غير

متماسك، ويبلغ عدد كلمات الباهير اثني عشر ألف كلمة، ظهرت أولى طبعاته في أمستردام عام 1651 م، وظهرت طبعة جديدة في القدس عام 1951 م(35).

وفي الباهير حديث عن نشأة التوراة، وكيفية كتابتها، وقداسة الأبجدية العبرية وقوتها وماهيتها.

فقد ورد في الباهير أن التوراة في بدايتها كتبت بنار سوداء على نار بيضاء، وأن النص الحقيقي مكتوب بالنار البيضاء، الذي لا تدركه الأبصار، وأن الأبجدية العبرية لها قدسية خاصة تنطوي على قوى غامضة غريبة، ومعانٍ وأسرار خفية وخاصة الحروف الأربعة التي تكون منها اسم الإله "يهوه"، ومعاني هذه الحروف لا يعرفها سوى العارف بالقبالاه، وتقرأ عكسًا لا طردًا للوصول إلى معانيها الخفية (36).

***

4- الزوهار הַזֹּהַר:



كلمة عبرية تعني الإشراق والضياء، وكتاب الزوهار أهم كتب التراث القبالي، وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم، ويعود تاريخه الافتراضي حسب بعض الروايات إلى ما قبل الإسلام والمسيحية، وهو ما يحقق الاستقلال الفكري لليهود.

وينسب الكتاب إلى أحد معلمي المشناة "تتائيم" الحاخام شمعون بن يوحاي "القرن الثاني" وإلى زملائه، ولكن يقال إن موسى دي ليون (37) مكتشف الكتاب في القرن الثالث عشر هو مؤلفه الحقيقي أو مؤلف أهم أجزائه.

والزوهار كتب مع بدايات أزمة يهود إسبانيا ما بين عامي 1280م و1285م.

وهو يشبه في أسلوبه المواعظ اليهودية الإسبانية في ذلك الوقت.



وبعد مرور مائة عام على ظهوره أصبح الزوهار بالنسبة للمتصوفة في منزلة التلمود بالنسبة للحاخامين.

وقد شاع الزوهار بعد ذلك بين اليهود حتى احتل مكانة أعلى من مكانة التلمود وخصوصًا بعد ظهور الحركة الحسيدية.

وقد ظهرت أولى طبعات الزوهار خلال الفترة 1558م إلى 1560م في مانتوا وكريمونا في ايطاليا، وظهرت طبعة كاملة له في القدس "1945م إلى 1958م " وتقع في اثنين وعشرين مجلدًا، وتحتوي على النص الآرامي، يقابله النص العبري.

وقد ظهرت ترجمات لاتينية لبعض أجزاء كتاب الزوهار "ابتداء من القرن السابع عشر، كما ترجم إلى الفرنسية في ستة أجزاء (من 1906م إلى 1911م) وإلى الإنجليزية في خمسة أجزاء (1931م إلى 1934م)" (38).



وكتاب الزوهار يعالج موضوعات عدة من موضوعات التصوف اليهودي منها:

طبيعة الخالق، وعلاقته بمخلوقاته، وأسرار الأسماء الإلهية، وروح الإنسان وطبيعتها ومسيرها، والخير والشر، وأهمية التوراة، والماشيح المخلص، كما يتناول التاريخ، والطبيعة، والإنسان بقدر الاهتمام (39).

ويعتقد القباليون بأن "الزوهار" كتاب مقدس، وأنه مرسل من عند الله، من يشك فيه كمن يشك في وجود الله (40).



أهم الأفكار والمعتقدات

القبالية

الإله: الأصل في الديانات السماوية التوحيد، وهو تنزيه اللّٰه عن الند والشريك والشبيه، ووصفه بصفات الكمال والجمال.

والديانة اليهودية مثلها مثل الديانات السماوية قائمة على التوحيد وتنزيه الإله، لكن لظروف تاريخية وأهواء نفسية وعوامل بيئية، انحرفت اليهودية عن مسارها الصحيح، وطرأ عليها أفكار جديدة حرفت معتقداتها، وتغيرت الديانة الموسوية المسطرة في التوراة، عن اليهودية بعهدها القديم الموجودة الآن، وكان أول المعتقدات تغيرًا وتبديلًا اعتقادهم في الإله الذي أصبح حلوليًّا، وحلوله مقصور على الشعب اليهودي دون غيره، ثم تطور هذا الحلول إلى أن أصبح حلولًا إلهيًّا في الشعب، والأرض، والتاريخ.

وذلك ليصلوا إلى قولهم إن اليهود هم شعب الله المختار الذين اصطفاهم لنفسه، وأن العالم ينقسم إلى يهود مقدسين لحلول الإله فيهم، وأغيار "غير يهود" محرمون من القداسة لأنهم ليسوا أهلًا لحلول الإله.

تطورت هذه الفكرة وازدادت انحرافًا في الفكر الصوفي اليهودي "القبالاه" الذي أصبح تعدديًا أيضًا.

فالفكر الصوفي اليهودي "القبالاه" يعتقد أن الكون ليس محكومًا من إله واحد، بل من ألهة عدة مختلفة الصفات والقدرات، انبثقت عن سبب أول قديم غامض، من السبب الأول انبثق أو ولد (41) أولًا: إله ذكر يدعى " الحكمة " أو " الأب " ثم إله أنثى تدعى المعرفة " أو "الأم "، ومن زواج هذين ولد إلهين صغيرين:

الابن: وتطلق عليه أسماء عدة مثل "الوجه الصغير-التقي المبارك"

الابنة: وتدعى أيضًا "السيدة - الملكة - الشخيناه" (42).



هذان الإلهان الصغيران يجب أن يتحدا، ولكن أحابيل الشيطان تمنع اتحادهما؛ لذا قام السبب الأول بعملية الخلق كي يتيح الفرصة لاتحادهما، ولكن السقوط جعلهم منفصلين أكثر مما سبق، حتى أن الشيطان تمكن من الابنة "الشخيناه" واغتصبها وجاء خلق الشعب اليهودي لإصلاح الخرق الذي سببه آدم وحواء، وتم هذا أسفل جبل سيناء للحظة فقد اتحد الإله الابن متجسدًا بموسى، مع الإله "شخيناه" ولسوء الحظ فقد تسببت خطيئة العجل الذهبي بانفصام في رأس الإله، ولكن توبة الشعب اليهودي أصلحت الأمور إلى حد ما (43).

لذلك فاليهود يربطون كل حادثة في تاريخهم بانفصام أو اتحاد الزواج المقدس الذي يتم عن طريق الفيض الإلهي والتجليات النورانية العشرة "سيفروت".

أما الفيض الإلهي "أصليوت" فهو المرحلة التي يقذف الإله فيها الإشعاعات النورانية لإتمام عملية الخلق، وهذه الإشعاعات هي التي أوجدت العالم وهي



الواسطة بين الإله والكون، وهي أداة الإله في خلق الكون.

***

والتجليات العشرة هي:

1- التاج الأعلى "كيتر" أو الإرادة المقدسة، وهي مرحلة يكون فيها الإله متوحدًا مع العدم أي إله مخفي، ويساوي بعض القبالين بين الإله الخفي "الأين سوف" أي اللامحدود، وبين التاج الذي يمثل الرغبة المقدسة أو الإرادة المقدسة، وأحيانًا يطلقون عليها "الأيين" أي التخفي الإلهي، وينتج عن هذا التجلي كائن خنثي نصفه ذكر، ونصفه أنثى.

2- الحكمة "خوخمة" ومعناها الفكر الإلهي الذي يسبق الخلق، وهو العلة الذكورية الأولى.

3- الفهم "بيناه" وهو العقل الذي يميز بين الأشياء، والفهم أو الذكاء هو العلة الأنثوية الأولى، وهو الأم السماوية التي تكون عملية الخلق.

4- الإحسان "حسيدولاه" وهي الحب الفائض للإله أو الرحمة.

5- القوة أو السلطة "جيبوراه" وهي مصدر الحكم الإلهي والشريعة وهي الأوامر والنواهي.

6- الجلال أو الجمال "تفئيرت" بمعنى التعاطف والتوافق.

7- التحمل أو الأزلية "نيتسح" وهو العالم المادي.

8- المجد أو جلال الإله "هود".

9- أساس العالم "يسود عولام" بمعنى الصديق أو الرجل التقي.

10- المملكة "ملخوت" أي الجوهرة، وهي التجلي الأنثوي للإله "شخيناه" ويطلق عليها جماعة إسرائيل "كنيست إسرائيل".

***

وهذه التجليات العشرة يتجلى فيها الإنسان القديم أو الأصلي "آدم قدمون"، الذي يتوج بالتاج ويوجد الملكوت تحت قدميه، وأعضاء جسمه هي التجليات العشرة، وهذا الإنسان هو الصورة المصغرة للعالم الأكبر، وفي الوقت نفسه الصورة المصغرة للإله، حيث يكمن فيه العالم المادي السفلي، والعالم الروحي السامي.

كما يعتقدون أن جسم الإنسان هو رداء الشرارة الإلهية، وعقيدتهم في تلك التجليات العشر أنها تتبلور في تحول الإله إلى عشرة أجزاء في واحد، والواحد في عشرة، حيث صدرت كل التجليات عن الإله الخفي أو العدم "الأين سوف" (44).

فالمتصوفة اليهود يعتقدون بإله أزلي صدرت عنه الآلهة الأخرى، وبالتالي فإن كل الموجودات صادرة أيضًا عن العلة الأولى لأنها أصل كل شيء، وهذا خيال فلسفي ناتج عن نزعة صوفية حلولية.



فاعتقاد التصوف اليهودي "القبالاه" في الإله، اعتقاد حلولي، يصل إلى وحدة الوجود، كما أنه اعتقاد تعددي.

***

الروح:

اسم يطلق على عدة معاني في الفكر القبالي منها:

الروح الحيوانية وهي روح تذهب ولا تعود "ريح تذهب ولا تعود" (45).

روح الحياة وهي اسم للشيء الذي يبقى من الإنسان بعد الموت ولا يلحقه فساد، "ودخلت إلى نوح الفلك اثنين من كل جسدٍ فيه روح حياة" (46).

فإذا أطلقت الروح الحيوانية أو روح الحياة، فإنما يقصد بها روح الإنسان التي تكون بها حياته، وعودتها ومرجعها إلى اللّٰه.



"فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها" (47).

ويأتي أيضًا اسم الروح بمعنى الفيض الإلهي العقلي الذي يفيض به على النبيين، والصديقين ومن ذلك فقال فرعون لعبيده: "هل نجد مثل هذا رجلًا فيه روح الله؟" (48).

فقال لموسى: "خذ يشوع بن نون رجلًا فيه روح وضع يدك عليه" (49).

ومكونات الروح الحيوانية أو روح الإنسان ثلاثة:

1- الحيوية "نيفيش" وهي مصدر القوة الحيوانية، والحيوية، وتقابل الحياة المادية.

2- الروح "روح" وهي مصدر القوة الأخلاقية.

3- النفس "نيشماه" وهي أعلى الدرجات الثالث، وهي تلك الدرجة التي تجعل الإنسان قادرًا على دراسة التوراة وإدراك كنه الإله.

ويرى القباليون أنها شرارة من الفهم "بيناه" وأنها غير قادرة على الخطيئة، وهذه الدرجة الروحية لا يصل إليها سوى الرجل التقي الصديق "تسديك".

وقد حاول القباليون إماطة اللثام عن الروح، وفك القيود التي تربطها، بحيث يمكنها أن تتصل بالتيار المقدس الذي يجري في الكون كله.

ويرى القباليون أن العذاب في الجحيم سيحل بالحيوية "نيفيش" وحسب، وليس بالنفس"نيشماه" (50).

يؤمن القباليون بتناسخ الأرواح، أي بعودتها، وانتقالها من جيل إلى آخر.

ويعد تناسخ الأرواح في العقيدة القبالية نوعًا من أنواع العقاب الروحي لغير اليهود، إذ تشير القبالة إلى أن المتحولين إلى اليهودية من غير اليهود، هم أرواح يهودية أودعت أولًا في أجساد غير يهودية كنوع من العقاب، ومن ثم أعتقت من خلال التحول إلى

اليهودية، أما بسبب أن العقاب قد انتهى أو بسبب شفاعة رجل مقدس (51).

والروح اليهودية لها مكانة عالية غير أرواح غيرهم فروح اليهودي من الممكن أن تلتصق بالإله "دبقوت" وهو الهدف الذي يسعى إليه كل المتصوفة اليهود.

ولا يتم الالتصاق بالإله إلا عن طريق الصلاة والتركيز في مدلولاتها الصوفية، وكذلك التأمل في حروف التسابيح والتراتيل التي تتلى في أثناء الصلاة للوصول إلى الحضرة الإلهية، حيث تنعدم ذات المصلى وتحلق روحه في العوالم العليا تاركًا خلفه العالم المادي المحسوس، وتتلاشى روحه في اللامحدود في وحدانية الرب.

***

الخير والشر:

تقترب فكرة الخير والشر في الفكر القبالي من الفكر الزرادشتي الذي تأثر به، فالشر عندهم هو تجليات

مضادة، وقوى مظلمة تعادي قوى الخير التي تظل في حالة صراع شديد حتى تتم السيطرة على العالم، فيرمزون للخير بشجرة الحياة المقدسة التي كانت تحكم العالم قبل السقوط في الخطيئة، ويعتقدون بوجود توراتين، توراة ظاهرية ترتبط بالأوامر والنواهي والشرائع، وتوراة نورانية لا ترتبط بأوامر أو شرائع، وهي غير مكتوبة ولا يدرسها سوى الماشيح والعارفين بأسرار القبالاه (52).

يطلق على الأشرار أصحاب الشمال، وله فيوض كفيوض مبدأ الخير الذي هو اليمين، واليمين والشمال هما ذراعا الله (53).

والخير يتمثل في اليهودي، أما الشر فهو متمثل في غير اليهود، كما يعتقدون أن الإنسان "اليهودي" محاط بقوى شر، يجب عليه مواجهتها بوسائل مختلفة، منها وضع خيط أحمر حول المعصم، وهذا الخيط يؤخذ من قبور المتطرفين اليهود (54).



اعتقادًا منهم أن هذا الخيط يحفظ من يرتديه من الأرواح الشريرة، ويحميه من قوى الشر.

***

المعرفة:

يقصد بالمعرفة في الفكر القبالي اليهودي معرفة الإله، والعالم، وللوصول إلى هذه المعارف لأبد من تعلم الأفكار القبالية، إذ هم الذين يملكون المعرفة الإلهية، ومعرفة العالم، وليس هدفهم من معرفة الإله تعظيمه والانقياد لأوامره، ونواهيه، إنما الهدف هو معرفة ماهية الإله من أجل التأثير عليه، وكذلك التأثير في العالم "كما يزعمون".

يرى القباليون أن المعرفة، كل المعرفة " الغنوص أو العرفان "، توجد في أسفار موسى الخمسة، ولكنهم كانوا يرفضون تفسير الفلاسفة المجازي، وكانوا لا يأخذون في الوقت نفسه بالتفسير الحرفي أيضًا، إنما كانوا ينطلقون من مفهوم غنوصي أفلاطوني محدث يقضي إلى معرفة غنوصية، أي باطنية، بأسرار الكون



وبنصوص العهد القديم للمعنى الباطن للتوراة الشفوية. (55) حيث قاموا بتقسيم دراسة التوراة إلى أربعة مستويات واختصوا بالرابع:

فالمستوى الأول: الدراسة السطحية أو النصية فقط، والمستوى الثاني: دراسة الإشارات والرموز في النص، والمستوى الثالث: الدراسة الربانية أو التعبدية، والمستوى الرابع: دراسة الباطن الخفي وأسرار التوراة، وهذا الذي اختصت به اليهودية القبالية، ومنها تحددت هويتها.

فالتوراة "العهد القديم" لديهم هي مخطط الإله للخلق كله، وكل كلمة فيها تمثل رمزًا وكل علاقة أو نقطة فيها تحتوي سرًّا داخليًّا، ولن نفهم أسرارها إلا بطريقة باطنية، لذلك يعتقدون أنهم فقط العارفون بالفيض الرباني السري.

كما يعتقدون أن الأبجدية العبرية لها قداسة خاصة، ولها دور في عملية الخلق، وتنطوي على قوة غريبة قوية، ومعان خفية، وبالذات الأحرف الأربعة التي

تكون اسم "يهوه" فلكل حرف أو نقطة أو شرطة قيمة عددية، ومن هذا المنطق فإن الحروف تنقسم بصفة عامة إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: الهمزة " رمز الهواء "، والمجموعة الثانية: الميم "رمز الماء"، المجموعة الثالثة: الشين "رمز النار"، وبإمكان الإنسان الخبير بأسرار القبالاه أن يفصل الحروف، ويجمع معادلها الرقمي ليستخلص معناها الحقيقي، وهذا يتطابق مع علم السحر (56).

ومن هنا قام المتصوفة اليهود "القبالاه" باستخدام السحر والتعاويذ لتحقيق أهدافهم والفتك بأعدائهم".

يقول السير جميس فريزر: فالساحر يعتقد بطريقة ضمنية أن المبادئ التي يستخدمها في ممارسة فنونه هي ذاتها المبادئ التي تنظم عمليات الطبيعة الجامدة أو الغير حية، فالسحر نسق كاذب أو زائف للقانون الطبيعي مثلما هو موجه، مضلل للسلوك، إنه علم كاذب زائف بقدر ما هو فن عقيم، فإذا نظرنا إليه على أنه نسق للقانون الطبيعي أي تقدير القواعد التي تتحكم



في تتابع الأحداث في العالم كله، فإنه يكمن تسميته حينذاك بالسحر النظري، أما إذا نظرنا إليه على أنه مجموعة من القواعد والتعاليم التي يتبعها الناس في تحديد أهدافهم فإنه يمكن حينذاك تسميته بالسحر العملي (57).

والمتصوفة اليهود "القبالاه" يستخدمون الاثنين معًا، فهم يظنون أنه بإمكانهم السيطرة على العالم والتأثير على الإله بمعرفة هذه الأسرار، وأنهم بذلك يتمكنون من تحقيق أهدافهم.

***

المسيح المنتظر "الماشيح":

تسعى القبالاه اليهودية إلى الخلاص كهدف رئيس، ولن يتم هذا الخلاص إلا بقدوم أو مجيء المخلص، الذي سيأتي لإنقاذ شعب إسرائيل من الشقاء، والألم، والحزن، والشتات الذي تعرضوا له، والاضطهادات التي وقعت عليهم، إنما هي مبشرات لمجيء المسيح المنتظر.



والأصل في كلمة "المسيح"، إنها مصرية حيث كان المصريون يقومون بدهان الملك بالعطور والزيوت عند تنصيبه، اعتقادًا منهم بأن هذا الدهان يجلب له سلالة قوية، ويلقب "مسيح" بعد دهنه "بزبدة التمساح"، والتمساح في المصرية القديمة يسمى "مسحًا.

وقد كان العبرانيون يستخدمون كلمة المسيح للدلالة على ملوك بني إسرائيل منذ عهد شاؤول أول ملوك بني إسرائيل، وداود في القرن العاشر قبل الميلاد، وكان يعني عندهم الملك وليس المخلص، لكنهم بعد رفضهم عيسى "عليه السلام" مسيحًا، أصبحت هذه الكلمة تعني عندهم المخلص، وأصبحوا ينتظرون قدومه لينصرهم على أعدائهم ليصبحوا شعب اللّٰه المختار.(58) أخذ القباليون يضفون الطابع الروحي على المسيح الذي سوف يأتي من سلالة داود، وأصبحوا يستخدمون تعبير "هاميليخ هامشيح أي الملك الممسوح دلالة على المسيح المنتظر، وجاءت عقيدتهم تلك استنادًا على ما قاله إشعيا: لأنه يولد لنا ولد، ونعطي ابنًا وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى



عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًّا رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والشر من الآن إلى الأبد غيره رب الجنود تصنع هذا" (59) (60).

لم تبرز فكرة المسيح المنتظر "المخلص" في الفكر اليهودي إلا بعد طرد اليهود من إسبانيا 1492م. وقد ساهم الفكر القبالي في نشر عقيدة عودة المسيح لتصبح وظيفته، جمع شتات اليهود المنفيين في شتى أنحاء العالم، ليعود بهم إلى صهيون، فيحطم جميع أعدائهم، ويعيد بناء الهيكل، وتصبح القدس عاصمتهم، ومركز العالم، ومركز العدالة، وتقوم كل الأمم على خدمة المسيح الذي ينشر السلام في الأرض، ويزول الفقر، وينتشر الحب، وتخصب الأرض، وينهي فكرة السعادة الفردية، ويلغي الإحساس بالمكان، والانتماء لأي أرض أخرى، لأن الإله سوف يحل في المادة والتاريخ، والمؤمنون بالفكر القبالي يرون أن مهمة تحديد العصر المسيحاني تتطلب قدرة فائقة على



معرفة الإله الحقيقية؛ لذا فقد تولدت لديهم عقيدة أنهم متميزون بهذه الرؤية عن غيرهم (61).

لذا فقد كان بعض المتصوفة اليهود يتعجلون ظهور المسيح باستعمال طرق مختلفة، اعتقدوا أنها فعالة ومؤثرة في التبكير بظهوره، فاستعمل بعضهم السحر من أجل ذلك، وغرق بعضهم في الذنوب لتعجيل ظهوره طبقًا لما جاء في التلمود "من أن المسيح يظهر إذا كان الناس مذنبين كلهم أو مبرئين من الذنوب تمامًا"، أما البعض الآخر لجأ إلى القبالة العملية بالصيام المستمر، والصلوات المتواصلة، وتعذيب أنفسهم.

من أجل أن يغفر لهم وبعض الحسيديين قرروا أن يجبروا المسيح على الظهور، بطريقة غريبة، وذلك بأن ألزموا أنفسهم وهم أحياء أن يرفضوا صعود أرواحهم إلى السماء بعد مماتهم لإخلال النظام الكوني الذي لا يصلحه إلا المسيح وحينئذ لابد من ظهوره (62).

وهكذا أصبح حلم مجيء المسيح بالنسبة لهم حلم الخبز بالنسبة للجائع.



لكن العجيب في الأمر أن المسيح المنتظر المتمثل في شخص مقدس يظهر آخر الزمان لإنقاذ اليهود وحدهم، تطور أمره من شخص مقدس إلى منظمه، وإن شئت قلت عصابة تعرف باسم الصهيونية، وهذه المنظمة آخر المسحاء الكذابين، التي علق عليه اليهود أمالهم للدخول في الحضرة الإلهية، والاجتماع في أرض فلسطين، ليعود الإله من منفاه إلى أرض الحضرة الإلهية وتجتمع الشرارات الإلهية المحطمة من جديد، ويعود الإله إلى الحضرة والشعب إلى الأرض، وهذا حديث خرافة، وأعجوبة من أعاجيب الفكر إذ كيف يملأ المسيح الأرض عدلًا، وينشر الحق، ويرفع الظلم، وتنبت الأرض الخير، وينتشر الأمان، وآخر المسحاء (الصهيونية) نفسه يدمر المقدسات، وينتهك الأعراض، ويخرب العمران!

فهل هذا بناءً على فكرهم القائل أن الخير لا يعرف إلا بالشر؟!

أم يعملون على ملء الأرض بالشرور والفجور ليجبروا مسيحهم على الظهور لتحقيق أهدافهم؟!

أم هذا زيادة إيضاح أن هذا المسيح كاذب كسابقيه؟!

***

أبرز شخصيات الفكر القبالى في العصر الحديث:

الحاخام أبراهام إسحاق كوك "1865 - 1935" م:

ولد الحاخام "كوك" عام "1865م" في قرية صغيرة في لاتفيا، وتلقى تعليمًا تملوديًا، وتأثر بالتعاليم القبالية، وتكلم العبرية، وحين بلغ الثالثة والعشرين من عمره أضحى حاخامًا لمدينة "زيجل" الليتونية من "1888م – 1895م" ثم صار حاخامًا لمدينة "لويسك" اللاتفية خلال الفترة من "1895م – 1904م".

بدأ "كوك" حياته العلمية كرئيس تحرير وناشر لمجلة حاخامية دعا فيها إلى الخلاص معتبرًا أن جيله منتمٍ إلى عصر مجيء المسيح.

في عام "1904م" هاجر كوك إلى فلسطين وأصبح حاخام مدينة "يافا" وقد اعتبر تعيينه في هذا



المنصب ثورة حقيقية في الحياة الدينية اليهودية في فلسطين.

في عام "1914م" سافر إلى أوربا للاشتراك في المجتمع الكنسي العالمي ممثلًا عن "أجودات يسرائيل" (63)، وحالة الحرب العالمية دون رجوعه فعمل حاخامًا في مدينة "سانت جالن" السويسرية عام "1914م- 1916م" وانتقل إلى لندن كحاخام مؤقت لها خلال الفترة "1916م – 1919م".

وخلال فترة وجوده في سويسرا وإنجلترا كان نشطًا في المساعي التي تساعد على ضمان صدور إعلان بلفور (64) الذي تبنت بريطانيا خلاله مفهوم إقامة دولة يهودية في فلسطين.

بعد انتهاء الحرب عاد "كوك" إلى القدس ليشغل منصب الحاخام الرئيسي للمدينة، ثم عينه الإنجليز أول حاخام أكبر للطائفة اليهودية الإشكنازية (65) في فلسطين وذلك منذ العام "1921م" وحتى وفاته "1935م".



يُعد كوك من أهم مفكري الصهيونية الأثنية "التي تسعى إلى تهويد الصيغة الصهيونية عن طريق إسقاط المصطلحات الحلولية العضوية عليها".

تعرف كوك على تقاليد "القبالاة اللوريانية" وسعى وراء تجارب الإشراق الداخلية إيمانًا منه بالحلول الرباني في الشعب اليهودي.

كما يعتبر كوك هو الأب الروحي للتيار الصهيوني الديني في إسرائيل إضافة إلى معرفته، واطلاعه العميقين على التراث الديني اليهودي في مطلع القرن العشرين بدأ "كوك" في نشر سلسلة من المقالات يدعم فيها الصوفية الدينية، ويدافع في الوقت ذاته عن التعاون مع الصهاينة العلمانيين في العمل لأجل بناء الدولة اليهودية (66).

ولما كان بناء الدولة اليهودية التي يتجمع فيها شعب الله المختار "حسب اعتقادهم" في الأرض الموعودة "فلسطين" لا يتحقق إلا بالمشروع الصهيوني انخرط عدد كثير من الحاخامات في الإطار الصهيوني، غير أن



بعضًا منهم حرص وتحت زعامة "كوك" على تيار خاص عرف باسم الصهيونية الدينية، وهو لا يختلف كثيرًا عن الصهيونية السياسية غير أن الأمر الوحيد الذي يميزه أنه يقدم مبررات من الشريعة اليهودية لدعم الفكرة الصهيونية (67).

فاستطاع "كوك" العمل على خلط الدين اليهودي بالسياسة الصهيونية في شكل خطة إلهية مقدسة، مبررًا تطرفها وتوحشها بإرادة الرب لأجل تجميع شعبه المختار!

لذا دعا "كوك" إلى انتهاج أسلوب الحياة المقدسة والتي يعبر عنها بقوله: "ستحقق عودتنا فقط إذا ما رافقت عظمتنا الروحية عودة إلى الجسد من أجل جسم صحيح قوي ومن أجل عضلات قوية تغلف روحًا ملتهبة" (68).

فهو يدعوا إلى ممارسة الرياضة البدنية من أجل وجود فرد عسكري يتميز بالبسالة، متغذى بالأفكار القبالية التي تشكل فكرة الروحي.



فإذا ما قتل كان قتلًا مقدسًا وإذا ما انتهك كان انتهاكًا مقدسًا، فاليهود هم شعب الله المختار وما عداهم لا قيمة لهم ولا حرمة، ولن يحل الله في الأرض الموعودة إلا بعد قتل وطرد غير اليهود منها، فليس غريبًا ما يشاهد اليوم من قتل وانتهاكات إسرائيل لشعب فلسطين ما دام الحاخامات يقدمون لها مبررات دينية من الشريعة اليهودية.

كما دعا "كوك" إلى الخلاص الذي جعله متمثلًا في أرض إسرائيل "فلسطين" فيقول: "أرض إسرائيل جزء حميم من جوهر قوميتنا وهي مرتبطة ارتباطا عضويًا بحياتها ولب كيانها والعقل البشري وهو في أسمى ذراه لا يستطيع أن يبدأ في فهم القداسة الفريدة التي تتسم أرض إسرائيل بها... الأمل بالخلاص هو القوة التي تحيا اليهودية في الشتات، واليهودية في أرض إسرائيل إلى الخلاص نفسه"(69).

فكوك يضفي القداسة على أرض فلسطين جاعلًا إياها الخلاص نفسه، وحياة اليهود فيها حياة منعمة بالخلاص، وهو يحاول أن يصور للشعب اليهودى أن

الوجود في أرض فلسطين هو محور الخلاص، فالخلاص لا يتحقق إلا بالاستيطان؛ لذا فالمستوطنات اليهودية على أرض فلسطين في ازدياد وتوسع دائمين.

فكوك استطاع أن يربط بين الصهيونية والشريعة اليهودية هذا من جهة، ومن جهة أخرى استطاع أن يجعل من أرض فلسطين مركزًا للخلاص منطلقًا من الفلسفة القبالية اللوريانية الحلولية، وبالفلسفة نفسها استطاع "كوك" إخراج العرب من دائرة القداسة اليهودية حيث يقول: "إن الفرق بين النفس الإسرائيلية وجوهريتها وأشواقها الداخلية وطموحها ومميزاتها وموقعها بين نفس جميع "الجوييم" على مختلف أصنافها لهو أكبر وأعمق من الفرق بين نفس الإنسان ونفس البهيمة، فالفرق بين الآخرين "الإنسان والبهيمة" هو فرق كمي، لكن الفرق بين الأولين "اليهودي والجوي" فهو فرق جوهري نوعي (70).

وهذا ما يلاحظ من استهانة اليهود بحرمة وأرواح الشعب الفلسطيني العربي ونلاحظ أن فكرة "كوك" في



تحقيق الخلاص ترتكز على عاملين أساسيين هما "الاتجاه إلى استيطان فلسطين، والسعي نحو الروحانية الدينية.

لذا نادى بتعليم المستوطنين التعاليم الروحانية، وأنشأ لأجل ذلك مركزًا دينيًّا أطلق عليه "يشيفاه" " مركز الرابي عام "1924 م" والذي أصبح المركز الرئيسي الحالي للصهيونية الدينية القومية من خلال تعاليمها (71).

***

نقد الفكر القبالي:

بدأ التصوف اليهودي كغيره من تصوف الأديان السماوية باطنيًّا لكن ليس مهتمًّا بطهارة الباطن، بل بتقديم تفسيرات باطنية لنصوص الكتاب المقدس، طامحين إلى تحقيق السيادة على العالم، لذا صاروا على القاعدة التي تقول "الغاية تبرر الوسيلة".



فعملوا على تحقيق حلمهم بالسحر، والتعاويذ، وصنع الأحجبة، وبكل طريقة مشروعة، أو غير مشروعة تمكنهم من التأثير في الإرادة الإلهية ليصلوا إلى تحقيق السيادة على غيرهم.

وإن كان التصوف اليهودي في بداية أطواره قدم صورة زهدية، وتدريبات روحية، وحلقات من الذكر، فإنهم لم يقصدوا الزهد لذاته، ولا التدريبات الروحية للارتقاء بها في سلم الإيمان، إنما للوصول إلى الاتحاد بالإله والالتصاق به عن طريق الوصول إلى درجة الفناء في الذات الإلهية، للتمكن من معرفة الأسرار الإلهية، ولما كان المتصوفة اليهود وحدهم الذين يصلون إلى معرفة الأسرار الإلهية "حسب اعتقادهم"؛ وضعوا أنفسهم فوق الخير والشر، بل فوق كل القيم الأخلاقية عرفية كانت أم دينية، واهبين لأنفسهم مكانة عالية، وقدرات خارقة، وأن بأيديهم التحكم في الدنيا وفي مصائر البشر، وما وجد تصوف في ديانة من الديانات الوضعية فضلًا عن السماوية يجوز فيها المعاصي والفحشاء من أجل تحقيق الخلاص أو ظهور



المخلص سوى التصوف اليهودي، فنلاحظ أن هذا النوع من التصوف يقدم نظرية عن القوة الغاشمة، والاستعلاء المجهول، تلحظ فيه خوارق السوبر مان الذي يتجاوز كل الخوارق.

لذا برعوا في علوم السحر، وأنشؤوا له المدارس، وأصبحت ممارسته مؤسسية ومنهجًا للحياة اليومية، بالرغم من وجد نصوص توراتية كثيرة تحرم السحر.

جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس "إن شرائع اللّٰه تتكلم بصرامة ضد السحر، وكانت عقوبة السحر هي الموت، لأن السحر جريمة ضد اللّٰه نفسه، فاستخدام القوى الشريرة كان كسرًا للوصية الأولى: "لا يكن لك آلهة أخرى سوى، فكان السحر تمردًا ضد اللّٰه وسلطانه فهو تحالف مع الشيطان بدلًا من التحالف مع اللّٰه"(72).

وفي سفر التثنية "متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من



يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا الموت لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب"(73).

وغيرها الكثير من النصوص التي تنهي عن استخدام السحر أو تعلمه.

فالمتصوفة اليهود نصبوا أنفسهم شامانات يعالجون المرضى، ويتنبؤون بالغيب، ويتوسطون بين الخالق والمخلوقات، بل نصبوا أنفسهم آلهة، أو أنصاف آلهة، واهبين لأنفسهم مكانة تفوق مكانة الملائكة والأنبياء، وهم بذلك يعودن إلى خرافات العقائد الشامانية المتخلفة التي ظهرت قديما في الهند ووسط أسيا، فالتصوف اليهودي ليس رقيًا في سلم الإيمان بل عودة إلى خرافات وضلالات قديمة اكتسبوها من تشردهم في كثير من البلاد، واختلاطهم بعقائدهم الوضعية، وخرافاتهم الدينية.

وواقع الأمر أن الدين اليهودي قد اختفت معالمه بعد موسى (عليه السلام) ودليل ذلك أن الصوفية اليهود الذين هم في تعداد العباد والزهاد، حولوا الدين إلى



تعويذة سحرية، وأصبح رجل الدين "الصوفي" رجل سحر بارعًا. لذا قامت الحاخامية اليهودية بمعارضة الأفكار الصوفية "القبالة" لانتهاكها الشريعة، وتحليلها للمحرمات، حيث وصفوها بالانحراف والانحلال والهرطقة، ونادوا بطردهم من اليهودية باعتبارهم خارجين عن الشريعة، وأعلنوا بطلان كتبهم التي وجدوا فيها تهديدًا لليهودية التقليدية، كما قامت الحركات الدينية المعاصرة في إسرائيل بنقد تراث التصوف اليهودي (القبالة) باعتبار أن هذا التراث يدعو للشرك وتعدد الآلهة(74).

وتحول التصوف اليهودي من فلسفة روحية إلى مادية متجسدة في المصلحة بعيدة عن أي روحانية أصلية لها جذور عمق ومرجعية، بل أصبحت لا جوهر لها ولا مفهوم، إلا تحقيق طموح الصهيونية وإن كان في ذلك تخلي عن التراث اليهودي للحصول على السيادة الغريزية.

وأضحى المتصوف اليهودي شيطانًا مقنعًا بقناع بشري، لا يحمل باطنه سوى الغطرسة والحقد على المجتمع

البشري، متمسك بأنيته التي تربى عليها.

وأمسى التصوف الذي يحمل معنى الصفاء القلبي، والنقاء النفسي وطهارة الباطن إلى سحر القبالة، وتحولت الصلاة إلى تعويذة، والذكر إلى رقى سحرية، والخلاص متمثلًا في آخر المسحاء الكذابين "الصهيونية" مصاص الدماء الذي ملء الأرض ظلمًا، وجورًا، وفسادًا، واغتصابًا للأرض الممتلكة للغير، منتهكًا لحرمة وكرامة الآدمب المكرم عند اللّٰه " عز وجل".

لذا لا يجوز أن يطلق مصطلح التصوف في اليهودية المعاصرة لأنها فقدت معانى التصوف الحقيقي وهي (الحب - التسامح – السلام) .

***



الخلاصة

يدور التصوف في الأديان السماوية في نطاق واحد هو توحيد الله، ويصدر عن الإيمان بالله وبقدرته وتعاليه عن خلقه، وهذا التصوف الصادر عن الإيمان بالله الواحد هدفه كبح الشهوات وتهذيب السلوكيات، والتعبير عن حب الله بفعل الخيرات لصالح البشرية وعمارة الأرض.

أما أن يتخذ التصوف شكلًا باطنيًّا مستخدمًا السحر والتعاويذ والكهانة من أجل التأثير في الإله والسيطرة على الكون والتحكم فيه، فهذه هرطقة وسفه لا يقره أحد.

فليس الهدف من التصوف اليهودي "القبالاه" الوصول إلى حب الإله والقرب منه، إنما زهدوا في الحياة، وأقاموا الصلاة، وصاموا من أجل الالتصاق بالإله لمعرفة أسراره، ليضعوه تحت تأثيرهم، ويضعوا أنفسهم فوق الشر، بل عنصر الخير في الكون.



ويا ليتهم لمَّا عرفوه كما يدعون قدسوه ووحدوه ونزهوه عن الشريك وعن النقائص! ولكنهم قالوا بالحلول وبوحدة الوجود وبالتعدد، مع أن موسى بن ميمون لما لخص أركان الدين اليهودي في كتابة دلالة الحائرين قال: "أنا أومن إيمانًا تامًّا أن الخالق تبارك اسمه موجود، وخالق، ومدبر المخلوقات كافةً، وهو وحده صنع ويصنع كل الأعمال؛ وأن الخالق تبارك اسمه موجود، وأن الخالق تبارك اسمه واحد ليس لوحدانيته مثيل على أي وجه كان، وأن الخالق تبارك اسمه ليس تجسيدًا، وهو منزه عن أعراض الجسد، وليس له شكل مطلقًا، " وأن له وحدة تليق الصلاة والعبادة، ولا تليق بغيره، وأن الخالق تبارك اسمه هو الأول والآخر(75).

وعلى جانب آخر فقد قامت الحركات الدينية المعاصرة في إسرائيل بنقد تراث القبالاه، باعتبار أن هذا التراث يدعو إلى الشرك، وتعدد الآلهة، وعارضوا فكر القبالاه في تحديد العلاقة بين الإله وصفاته، وتجليه عبر الاسم الإلهي "يهوه" حيث أوَّلوا كل حرف بأنه يشير



إلى صفة تجسدت في أحد الأنبياء، فعبروا عن صفات الحكمة، الفهم، والجمال، والملكوت بأنها تتجسد في شخص الأنبياء إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وقد وجد الحاخامات في هذا التصور تعدد للآلهة ودعوى للشرك (76).

ومن الأشياء التي عبرت عن التصوف اليهود "القبالاه" السحر، والتعاويذ، وتحضير الأرواح على الرغم من أن النصوص التوراتية تحرمه.

فنجد في سفر اللاويين "النفس التي تلتفت إلى الجان، وإلى التوابع لترني ورائهم، اجعل وجهي ضد تلك النفس، واقطعها من شعبها " (77).

وفي السفر نفسه "لا تلتفت إلى الجان، ولا تطلب التوابع فتتنجسوا بهم. أنا الرب إلهكم " (78).

والتفسير التطبيقي يقول: "لكن الله حذر شعبه من استشارة السحرة، وقد حرمت الشريعة الوسطاء والساحرات والمنجمين، لأن الله ليس هو مصدر



معلوماتهم؛ ولذلك لا يمكن الوثوق بهم، فمن يدعون معرفة معلومات خارقة للطبيعة إما أنهم مزورون يدعون كذبًا، أو أنهم يقدمون معلومات من مصدر شرير" (79).

وفي سفر التثنية: "لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا من يعرف عرافة ولا عائف، ولا متفائل، ولا ساحر، ولا من يرقي رقية، ولا من يسأل جان أو تابعة، ولا من يستشير الموتى، لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب" (80).

والتفسير التطبيقي يقول "منع الله منعًا باتًّا تقديم الأبناء ذبائح، كما حرم السحر، والعرافة "(81).

وبالرغم من ذلك فإن اليهود قد مزجوا السحر في التعاليم الصوفية، وأطلقوا على السحر تصوف، لذا فقد اعتبرت المؤسسة الحاخامية اليهودية أفكار التصوف اليهودي "القبالاه" وكل ما ينتمي إليها من أفكار، انتهاك للشريعة، وتحليل للحرمات، ووصفوهم بالانحراف، والانحلال، والهرطقة، ونادوا بطردهم من



اليهودية باعتبارهم خارجين عن الشريعة، وأعلنوا بطلان كتبهم، التي وجدوا فيها تهديدًا لليهودية التقليدية (82).

أضف إلى ذلك أن التصوف اليهودي ليس روحانيًا قائمًا على تصفية الروح، وتنقية القلب، إنما هو قائم على مصالح سياسية استعمارية، يخفيها تحت غطاء تعاليمه الباطنية، فنجدهم يعبرون عن حلول الله في الأرض، والشعب، والتاريخ، ويعدون النفي غياب عن الحضرة الإلهية، لأن الإله قد نُفي من الأرض ولا سبيل إلى الدخول في الحضرة الإلهية إلا بعودتهم إلى الأرض يعنون فلسطين ليعود الإله من منفاه، فيدخلون الحضرة الإلهية مرة أخرى، وهذه لعبة سياسية استيطانية، وليست تصفية روحية.

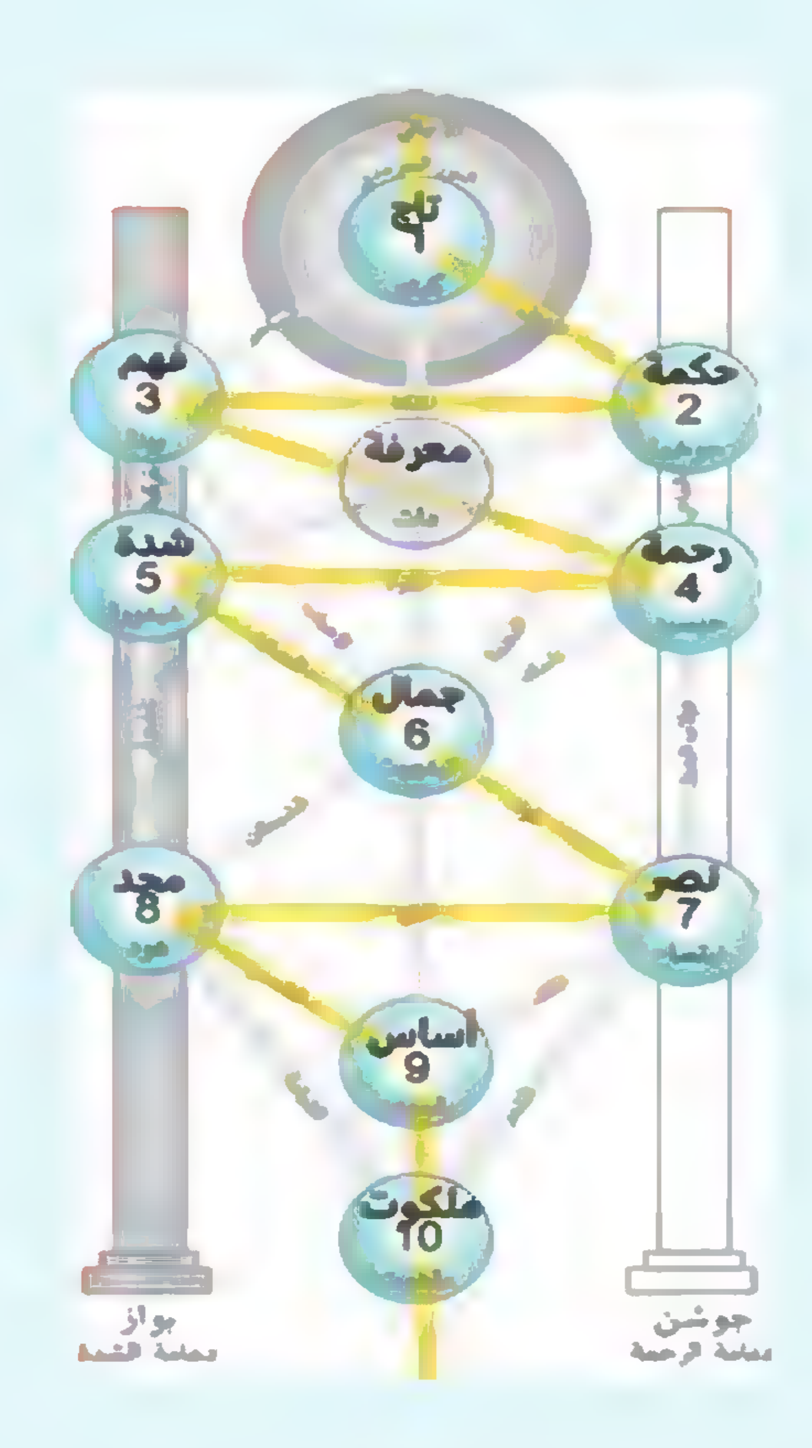
أضف إلى ذلك أيضًا: أن التصوف قائم على التسامح، والسلم، والمسالمة، لا على الاضطهاد والعنف، وتعذيب الضعفاء، وقتل الأبرياء، واغتصاب الحقوق، وهذا ما يعبر عنه التصوف اليهودي (القبالاه) في صورته الاستعمارية المعاصرة.



***

PORTAELVCIS





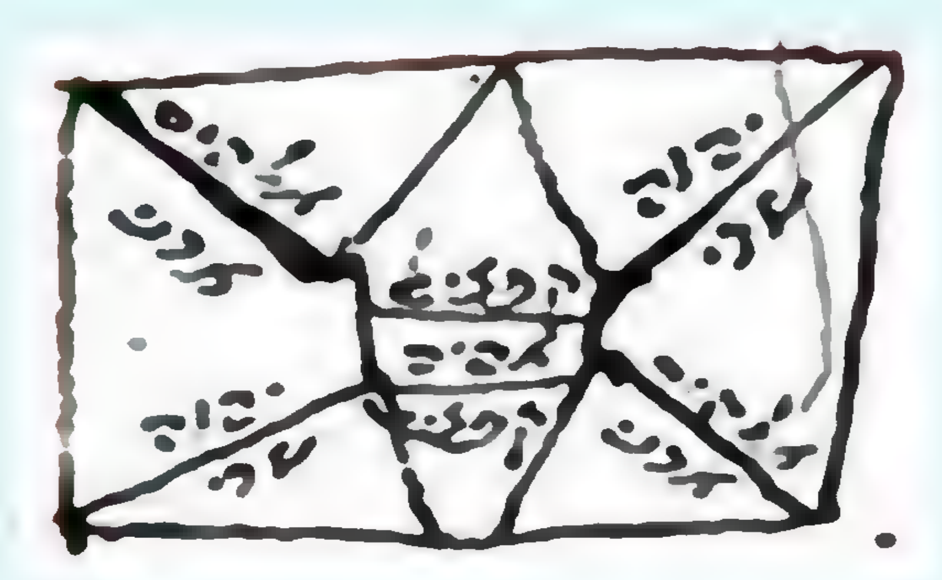
شجرة الحياة في الفكر القبالي





المعصم الذي يحمي من الأرواح الشريرة في الفكر القبالي



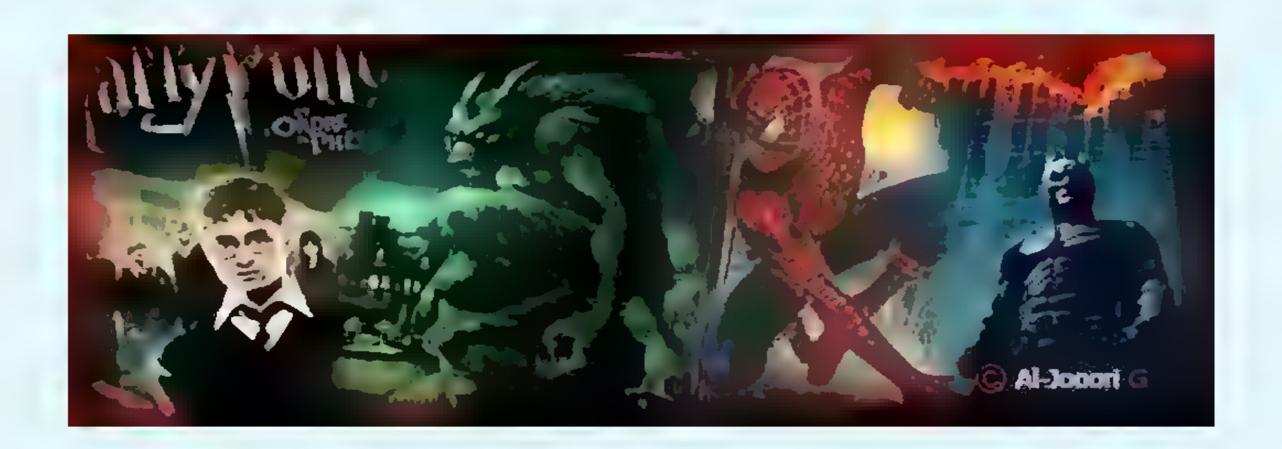


تعويذه قبالية





قبعة قبالية



الفكر القبالي في الأفلام العالمية



إبراهام كوك أبرز شخصيات الفكر القبالي في العصر الحديث



هوامش

(1) موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، ح 5 ص 425.

(2) أبراهام أبو العافية وُلد في إسبانيا (1420-1292) وانخرط في دراسة الشريعة والتلمود والحسابات القبالية، وزعم أنه وصل إلى معرفة الإله، وجذب عددًا كبيرًا من العلماء اليهود الشبان الذين أتبعوا تعاليمه ثم وجدوا أن ثمة تشابهًا عميقًا بينها وبين المسيحية، فتنصروا وفي هذا التوقيت قرر أبو العافية أن يقنع البابا أن يتهود فقبض عليه وصدر ضده حكم بالقتل حرقًا لكنه هرب من السجن ثم ظهر مرة أخرى بعد أربعة أعوام وأعلن أنه المسيح" المسيري موسوعة اليهود واليهودية".

(3) اليهود الموسوعة المصورة، طارق السويدان، الناشر الإبداع الفكري، الكويت، الطبعة الأولى 1430 هـ - 2009 م ص 200.



(4) اليهود تاريخ وعقيدة، كامل سعفان، الناشر دار الاعتصام، القاهرة، ص 217.

(5) المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية، سوزان السعيد يوسف، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى 1997 م ص 74.

(6) الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، مكتب التبيان، الناشر دار بن الجوزي القاهرة، الطبعة الأولى 1432هـ - 2011 م، ح 2 ص - ص32 - 33.

(7) المرجع نفسه ح 2 ص 33.

(8) موسوعة اليهود واليهودية، مرجع سابق، ح 5 ص 283.

(9) الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل، هدى محمود درويش، الناشر الدار الثقافية، القاهرة، الطبعة الأولى 2014 م، ص 20.



(10) الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل، مرجع السابق ص 21، 22.

(11) المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، منى ناظم، الناشر: الاتحاد للصحافة والنشر ص 181، نقلًا عن "هدى درويش" المصدر نفسه ص22.

(12) هم اليهود المتنصرون نتيجة لاضطهاد اليهود في إسبانيا، حيث تكونت لديهم هويتان اليهودية الأصلية الباطنية، والأخرى المسيحية الشكلية. وكان ظهورهم 1391م.

(13) اليد الخفية، عبد الوهاب المسيري، الناشر دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، 1422 ه- 2001م، ص 95.

(14) ولد شبتاي تسفي " 1626 م- 1676 م" في أزمير بتركيا، وتلقى تعليمًا تقليديًا فدرس التوراة، والتلمود، ولكنه استغرق في كتابة القبالاه خصوصًا القبالاة اللوريانية بنزوعها الغنوصي؛ زعم شبتاي أنه



سيعيد مجد صهيون وسيستعيد فلسطين لليهود، وأضفى على نفسه ألقابًا منها "أبو كم يسرائيل، أنا الرب إلهكم شبتاي تسفي، ابن الإله البكر" المرجع نفسه، ص 95.

(15) فرنك (1726 م) هو مؤسس فرقة مشهورة باسم الفرانكية، وكان يعتقد بتقمص الأرواح، ويقول إن روح المسيح سكنت أولًا في سيدنا داود، وفي النبي الياهو، ثم انتقلت إلى يسوع المسيح " عيسى بن مريم "ومنه إلى نبي الإسلام محمد (ﷺ)، وحلت بعد ذلك في شبتاي وتلاميذه، حتى وصلت المشيحانية إليه هو شخصيًا؛ يعتقد فرانك بتحكم ثلاث قوى في العالم، الحياة، والثروة، والموت، ويرى أن الخلاص من الشر في العالم يأتي عن طريق الرسل التي أرسلها الرب وهم رسل إسرائيل. الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، الناشر معهد الدراسات والبحوث العربية 1971، ص 150.

(16) اليهود تاريخ وعقيدة، مرجع سابق ص218.



(17) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ح 5 ص 468، باختصار.

(18) القوى الدينية في إسرائيل بين تفكير الدولة ولعبة السياسة، رشاد الشامي الناشر عالم المعرفة، العدد 197، الكويت 1994م ص 205.

(19) المرجع نفسه، ص 206.

(20) اليهود الحسيديم، جعفر هادى حسن، الناشر دار القلم، دمشق 1994م ص 100، نقلًا عن د / هدى درويش، الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل ص 40.

(21) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الرابعة 1425هـ / 2004م ص 146.

(22) الصمت في اليهودية، لويس صليبا، الناشر دار بيبليون، لبنان، الطبعة الثانية 2011م ص219، 221، بتصرف واختصار.



(23) موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، عبد المنعم الحفني، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 108، 109، بتصرف.

(24) القوى الدينية في إسرائيل مرجع سابق ص 239.

(25) اليهود الموسوعة المصورة، مرجع سابق ص 205.

(26) موسوعة اليهود واليهودية، مرجع سابق، ح5 ص 315.

(27) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الاسلام خان، الناشر دار النفائس، بيروت، الطبعة الثامنة 1423هـ / 2012م، ص - ص11- 12.

(28) الحياة اليهودية بحسب التلمود، روفائيل البرموسي، الناشر دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى 2003م، ص 20.



(29) التلمود الأساس "سدر المواعيد المقدسة "، إميل عباس، الناشر مكتبة السائح، طرابلس، الطبعة الأولى 2005م، ص 25.

(30) التلمود تاريخه وتعاليمه، مرجع سابق، ص 59، 60 بتصرف.

(31) الكنز المرصود في قواعد التلمود، أغسطس روهلنج، ترجمة يوسف نصر الله القاهرة 1899، نقلًا عن ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه ص 71.

(32) التلمود الأساس، سدر المواعيد المقدسة، ص 27.

(33) المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية، مرجع سابق ص 80.

(34) الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل، مرجع سابق ص 17.

(35) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ح5 ص 463 باختصار.

(36) المرجع السابق ص 18.

(37) موسى دليون: ولد عام 1240 في مدينة ليون، وتوفي عام 1305 وهو من أتباع القبالاه، ويرجع أنه المؤلف الحقيقي للزوهار، من مؤلفاته "دلالة الحائرين" وكتاب النفس الحكيمة "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري ".

(38) نفسه، ج 5 ص 483، 484، بتصرف واختصار.

(39) اليهود تاريخ وعقيدة، مرجع سابق ص 217.

(40) موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، سعدون محمود الساموك، الناشر دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى 14

(41) وتم هذا التوالد بناءً على فكرة قبالية تعرف بالانكماش أو " صمصوم " بالعبرية ومضمونها "



انكماش الإله داخل نفسه أو داخل ذاته لتطهيرها من العناصر غير الإلهية وبناءً على هذا فالإله أو السبب الأول خنثى يحمل عضو التذكير وعضو التأنيث، الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل، مرجع سابق ص 23 بتصرف ".22ه- / 2002م، ج 2 ص 188.

(42)الشخيناه في المفهوم القبالي بمعنى التجلي الأنثوي للإله أو الصفة الأنثوية، وهي ترمز إلى حلول الإله في الإنسان والعالم، ويقال إن الشخيناه قد حلت في الهيكل وتوحدت بالشعب لكن هدم الهيكل أدى إلى نفيها معهم أو صعودها إلى السماء وذلك بسبب ذنوب بني إسرائيل ولعودتها وتوحدها بالشعب مرة أخرى لا بد لبني إسرائيل من المحافظة على الأوامر والنواهي والصلاة والعبادة، ذلك لأنه بسبب نفي الشخيناه استطاع الشيطان اغتصابها وكان نتاج هذا الاغتصاب خلق الأغيار؛ لذا فالأغيار أشرار، درويش: هدى، الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل، مصدر سابق، ص 27 بتصرف.



(43) التاريخ اليهودي والديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، إسرائيل شاحاك، الناشر بيان للنشر والتوزيع بيروت، ترجمة صالح علي سوداح، الطبعة الأولى 1995 م، ص - ص54 - 55 بتصرف.

(44) الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل، مرجع سابق ص 24، 25، 26، بتصرف واختصار.

(45) مزمور: 78 / 39.

(46) التكوين: 7 / 15.

(47) الجامعة: 13 / 7.

(48) التكوين: 41 / 38.

(50) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق م 5 ج 2 ص 454.

(51) الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحك، ترجمة ناصر عفيفي، الناشر روز اليوسف،



القاهرة، الطبعة الأولى 2001م، ص 126، نقلًا عن عبد الكريم حمد بنداري، القبالة اليهودية رسالة دكتورة غير منشورة.

(52) الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل، مرجع سابق ص 26.49) عدد: 27 / 18.

(53) موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مرجع سابق، ص 176، بتصرف يسير.

(54) اليهود الموسوعة المصورة، مرجع سابق، ص 204.

(55) موسوعة اليهود واليهودية، م 5 ح 2 ص 425.

(56) المرجع السابق ص 198.

(57) الغصن الذهبي، مرجع سابق، ص - ص105، 106.

(58) تاريخ اليهود، أحمد عثمان، الناشر مكتبة الشروق، القاهرة 1994م، ح3 ص - ص53-55.



(59) أشعياء: 9 / 6، 7.

(60) الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، الناشر: دار القلم، دمشق 1999م، ص 13.

(61) الجذور الدينية للصراع السياسي في اسرائيل، ص 30، 31.

(62) فرقة الدونمة، جعفر هادى حسن، الناشر مؤسسة الفجر، بيروت، الطبعة الثالثة 1419هـ / 1984م، ص - ص 13- 14.

(63) منظمة عالمية دينية وسياسية لليهود المتشددين، مبدأهم الرئيسي هو حل كل القضايا اليهودية وفقًا لروح التوراة، وقد طرحت فكرة تأسيسها لأول مرة عام 1909م، لكن الإعلان الرسمي كان عام 1912م. "عرابي: رجاء عبد الحميد، سفر تاريخ اليهود، الناشر دار الأوائل – الطبعة الثانية 2006م ص 411".



(64) إعلان بلفور الصادر 1917م وفي هذا الإعلان أو الوعد أعطت بريطانيا الحق لنفسها في أن تمنح أرض فلسطين لليهود "المسيري"، مصدر سابق م 1 ح 4 ص 215.

(65) الإشكناز: هم اليهود الغربيون الذين ينتمون حضاريًّا إلى العالم الغربي بغض النظر عن وصولهم "المصدر نفسه م2ح2ص319"صرف واختصار.

(66) المدارس الدينية ودورها في المشروع الاستعماري الصهيوني، شيماء زين العابدين محمد محمد عيسى، معهد الدراسات الآسيوية جامعة الزقازيق رسالة ماجستير غير منشورة ص– ص 23-33.

(67) المرجع نفسه ص 37.

(68) تاريخ الفكر الصهيوني، عبد الوهاب المسيري، الناشر دار الشروق – مصر 2010 م. ص 437.

(69) المرجع السابق ص 46.



(70) المرجع نفسه ص 52.

(71) الجذور الدينية للصراع السياسي في اسرائيل ص 94.

(72) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص 28.

(73) التثنية: 9/18-13.

(74) الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل، مرجع سابق ص 56.

(75) اليهودية، مرجع سابق، ص 87، بتصرف واختصار.

(76) الجذور الدينية للصراع السياسي في إسرائيل، مصدر سابق ص 57.

(77)لاوين: الإصحاح: 20، الفقرة: 6.

(78) لاوين: الإصحاح: 19، الفقرة: 31.

(79) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، على هامش الكتاب المقدس، تأليف د/ بروس بارتون وآخرون، ترجمة وليم وهبة وآخرون، على هامش سفر اللاوين، برنامج الإنجيل المقدس.

(80) تثنية، الإصحاح: 18، الفقرات: 10، 11، 12.

(81)ا لتفسير التطبيقي، المصدر السابق، على هامش سفر التثنية.

(82) الجذور الدينية للصراع السياسي في اسرائيل ص 56.

***